سِيميَائيّة الكَفَاءتيْن ؛ التّوَاصليّة والتخَاطُبيّة في حديثٍ نبويّ شريفٍ

مُقَارَبةٌ تَدَاوُليّةٌ

د. أُسَامَة عَبْد العَزيز جَاب الله

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، المعبود حقاً وصدقاً وحده لا شريك له ، سبحانه سبحانه تفرّد بالقدرة والقوّة والعزّة ، تبارك الله أحسن الخالقين ...

والصلاة التّامة ، والسلام الأوفى على مبعوث الحق ، وهداية الخلق ؛ سيّدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد .

فقد كان لظهور اللسانيات بوصفها الدراسة العلمية للغة الأثر الأكبر في شيوع هذا النوع من المناهج التي تتناول الأثر الأدبي من داخله أو كما يقول فرديناند دو سوسير : " اللسانيات هي دراسة اللسان في ذاته ولذاته " [1] ذلك أنّ اللغة هي الموضوع الأساس الذي ينطلق منه المحلّل لكشف ماهيّة النص وطبيعته ووظيفته ، انطلاقاً من هذا الرؤية الخاصة للغة .

في حين نجد أنّ تشومسكي يركّز على المنحى العقلانيّ للغة من حيث كونها ملكة فطريّة منظّمة ومتميّزة ، أيّ أنّها استعداد فطريّ يولد مع الإنسان ويتطور تبعاً لنوع الظروف ، لتخرج في نهاية المطاف من حال الكمون إلى حال التحقّق ، ومن هنا نجد تشومسكي يتحدّث عن مفاهيم خاصة مثل : (القدرة ، والكفاءة ، والإنجاز ، والإرادة) إلى غيرها من المفاهيم المرتبطة بإنجاز اللغة .

ولأنّ مفهوم القدرة من المفاهيم المهمّة في ميدان الدراسة اللسانيّة عامة ، والنظرية التداولية خاصة ، وما يستتبعها من توظيفات متعدّدة في ميادين الدراسات البلاغيّة المتنوّعة ، فإنّنا لا يمكننا تقديم تصوّر لسانيّ واضح وجليّ لماهية هذا المفهوم دون الوقوف على حيثيات أبنية التراكيب والنصوص اللغوية لكونها مناط التفاعل الأدائي للكلام هدفاً وتواصلاً وتأثيراً .

وإذا كانت النظرية التوليدية ومقرراتها عند تشومسكي تصطلح القدرة بمفهومها الذهني المجرّد أساساً في بناء النموذج الفعلي للغة ، وذلك لإظهارها من قبل المتكلّم على

1 – دو سوسير ، محاضرات في علم اللغة العام ، ترجمة : صالح القرمادي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 2003 ، 354 .

سطح التركيب النحويّ ، وبتذرعها بالمثالية اللغوية البعيدة عن الواقع ، وذلك بمقتضى المبدأ الفطريّ المحفّز لخلق اللغة وأدائها . فإنّه على العكس من هذه النظرة التوليدية فإنّ الفهم التداوليّ لمفهوم القدرة بحكم طبيعتها المنهجية ، والأفق التواصليّ الذي تنطلق منه تسعى لتحليل الوقائع الكلاميّة ضمن صلتها بسياقاتها الفعليّة المنتجة لها ، ومن ثمّ فإنّ مفهوم القدرة اللغوية في الأفق التداوليّ يأخذ وضعاً تخاطبياً حوارياً بين المتكلّم (مرسل الرسالة) والمخاطَب (المتلقي للرسالة) ، كما أنّ أداءها إنجازيّ وتأثيريّ في السياق الذي يتم التلفّظ بها فيه .

ولذا عقدنا النية على استنطاق هذه القدرة التداوليّة بكفاءتيها ؛ التواصليّة والتخاطبيّة من خلال التطبيق على نصّ نبويّ شريف ، وهو ما يسمّى في كتب الصحيح بحديث أصل السنّة ، أو حديث الإيمان والإسلام والإحسان ، وصولاً إلى أغراض الفعل البلاغي التداوليّ من توظيف هذا المفهوم بتداخلاته المتنوعة بما يحقق لنا ما نريده من هذا التطبيق .

والله الموفق ، وعليه التوكّل والاعتماد ، إنه وليّ ذلك وأهله ...

المبحث الأول : القدرة والكفاءة اللغوية وأنواعهما

مفهوم القدرة لغة :

قَدَرْتُ على الشيء (أَقْدِرُ) من باب ضَرَبَ ، قويت عليه و تمكنت منه ، والاسم (القُدْرَةُ) و اسم الفاعل (قَادِرٌ) و (قَدِيرٌ) و الشيء (مَقْدُورُ) عليه ... والقُدْرَةُ : مَصْدَرُ قَوْلكَ : له على الشَّيْءِ قُدْرَةٌ : أي مِلْكٌ ، فهو (قَدِيرٌ) و (قادِر) ٌ . واقْتَدَرَ على الشَّيْءِ : قَدَرَ عليه .. والقدير والقادر : من صفات الله عز وجل، يكونان من القدرة ، ويكونان من التقدير . والقادر : اسم فاعل من قَدَرَ ويَقْدِرُ ؛ والقَدِيرُ (فعيل) منه ، وهو للمبالغة ، والمُقْتَدِرُ (مُفْتَعِل) من (اقْتَدَرَ) وهو أبلغ . والقدير: هو الفاعل لما يشاء على قَدْرِ ما تقضى الحكمة ، لا زائدًا عليه ولا ناقصاً عنه ، ولذلك لا يصحّ أن يوصف به إلا الله تعالى ، والمقتدر يقاربه، إلا أنه قد يوصف به البشر ، ويكون معناه المتكلف والمكتسب للقدرة ، ولا أحد يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه ، غير الله تعالى فهو الذي ينتفي عنه العجز من كلّ وجه تعالى شأنه .

والفرق بين الاستطاعة والقدرة أنّ الاستطاعة : انطباع الجوارح للفعل ؛ والقدرة : هي ما أوجب كون القادر عليه قادرا ، ولذلك لا يوصف الله تعالى بأنه مستطيع ، ويوصف بأنه قادر... والاستطاعة أخصّ من القدرة ، فكل مستطيع قادر وليس كل قادر بمستطيع ، لأنّ الاستطاعة : اسم لمعان يتمكن بها الفاعل مما يريده من إحداث الفعل وهي أربعة أشياء : إرادته للفعل ، وقدرته على الفعل بحيث لا يكون له مانع منه ، وعلمه بالفعل ، وتهيؤ ما يتوقف عليه الفعل ؛ ألا ترى أنه يقال : فلان قادر على كذا لكنه لا يريده ، أو يمنعه منه مانع ، أو لا علم له به أن يعوزه كذا ، فظهر أن القدرة أعمّ من الاستطاعة، والاستطاعة أخص من القدرة [1] .

مفهوم القدرة اصطلاحاً :

تدور تعريفات هذا المفهوم في دلالة محوريه تلتزمه ألا وهي دلالة التمكّن من أداء الفعل ، والقدرة عليه . يقول الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) : " القدرة إذا وُصِفَ بها

---

1 – ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة، / 184. الزبيدي ، تاج العروس ، 3377. ابن منظور ، لسان العرب ، 126/5 .الفيومي ، المصباح المنير ،2 / 492.

الإنسان فاسم لهيئة له بها تمكّن من فعل شيء ما ، وإذا وُصِفَ الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه ، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى ، وإن أُطْلِقَ عليه لفظاً بل حقّه أن يقال : (قادر على كذا) ، ومتى قيل : (هو قادر) فعلى سبيل معنى التقييد ، ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصحّ أن يوصف بالعجز من وجه ، والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كلّ وجه" [1] .

فالراغب يدور في فلك توظيف المفردة القرآنية المشتقة من الفعل (قدر) ، فيحدّد الفرق بين توظيف المفردة في حق الله سبحانه وتعالى ، واستحالة أن يوصف بالعجز عن الأداء ، واستعمالها في حق العباد ، وكيف أنهم يستحقون الوصف بالقدرة والعجز في آن .

ومن التعريفات المهمّة في تبيان حدود مفهوم القدرة ودلالاتها المتعدّدة ما يذكره الجرجاني (ت 861 هـ) بقوله : " هي الصفة التي تمكّن الحيّ من الفعل وتركه بالإرادة ، وصفة تؤثر على قوة الإرادة ، والقدرة الممكنة عبارة عن أدنى قوة يتمكّن بها المأمور من أداء ما لزمه بدنياً كان أو مالياً ... والقدرة الميسّرة ما يوجب اليسر على الأداء ، وهي زائدة على القدرة الممكنة بدرجة واحدة في القوة ... والفرق ما بين القدرتين في الحكم أن الممكنة شرط محض ،حيث يتوقف أصل التكليف عليها فلا يشترط دوامها لبقاء أصل الواجب ، أما الميسرة فليس بشرط محض ، حيث لم يتوقف التكليف عليها " [2] .

فقد حدّد الجرجانيّ مفهومها بأنها ما يمكّن الكائن الحيّ من فعل ما يلزم الإبقاء على حياته ، وفرّعها إلى نوعين هما ؛ القدرة الممكنة وهي الحدّ الأدنى من قدرة الكائن الحي على الأداء ، والقدرة الميسّرة ، وهي المعينة على الأداء ، حيث تزيد عن القدرة الممكنة بدرجة .

وللكفويّ (ت 1044 هـ) تعريف جامع ، يقول : " القدرة هي التمكن من إيجاد شيء ، وقيل صفة تقتضي التمكّن ، وهي مبدأ الأفعال المستفادة على نسبة متساوية ، فلا يمكن

1 – الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، 2008 ، 360 .

2 – الجرجاني، التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1988 ، 221 .

تساوي الطرفين الذي هو شرط تعلّق القدرة إلا في الممكن ، لأن الواجب راجح الوجود ، والممتنع راجح العدم .وتعرّف أيضا بأنها : إظهار الشيء من غير سبب ظاهر ، وتستعمل تارة بمعنى الصفة القديمة ، وتارة بمعنى التقدير ... واعلم أن محلّ قدرة العبد هو عزمه المصمّم عقيب خلق الداعية والميل والاختيار "[1] .

فالكفوي يضيف إلى معاني التمكّن والاقتدار على الفعل بالقوّة الممكنة والقوة الميسّرة معنى العزم والإرادة على فعل الشيء ، واختيار فعله بالقوة التي يعرفها فتمكّنه من هذا الفعل .

المفهوم اللغويّ للكفاءة :

تدور الدلالات اللغوية لمصطلح الكفاءة حول معاني القيام بالأمر ، والاضطلاع بالمسئولية ، والقدرة على القيام بالتكليف . يقول الأزهري : (ت 370 هـ) : " كفَى يَكْفِي كِفَايَة إذا قام بالأمر ، واسْتَكْفَيْتُه أمراً فَكَفَانِيه ، ويقال : كفاكَ هذا الأمر ، أي: حسبك ، وكفاك هذا الشيء " [2] .

أما ابن منظور (ت 711 هـ) فيورد دلالات متعددة للمادة منها : الجزاء ، والكفء أي : النظير المشابه ، والاستواء ، والميل إلى الشيء ، والطاقة ، وغيرها . يقول : " كفأَ : كافأه على الشيء مكافأة وكِفَاء أي : جازاه . تقول : ما لي به قِبَلٌ ولا كِفَاء ، أي : ما لي به طاقة على أن أكافئه . والكَفِئ النظير ، وكذلك الكُفْء والكفؤ على (فعْلٍ) (وفُعُل) ، والمصدر (الكفاءة) بالفتح والمدّ " [3] .

مفهوم الكفاءة اصطلاحاً :

1 – الكفوي ، الكليات ، تحقيق : د. عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 ، 1121 .
2 – الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق : علي هلالي ومحمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1965 ، 384/10 .
3 – ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كفا) .

يحدد رولاند إليورد الكفاءة بأنها " المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة التي يكتسبها المتكلّم منذ طفولته ، وتبقى راسخة في ذهنه ، فتمكّنه فيما بعد من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل ، إنتاجاً ابتكارياً ، لا مجرّد تقليد ساكن ، ثمّ التمييز بين ما هو سليم نحوياً وبين غيره " [1] .

وهو المفهوم ذاته الذي ذهب إليه د. عبد القادر الفاسي إذ يقول : " الكفاءة هي القدرة التي تكمن عند الفرد وتمكّنه من إنتاج عدد لا متناه من الجمل "[2] .

وفي الإطار ذاته يجعلها د. ميشال زكريا آلية إنسانية ديناميكية لتوليد اللغة من اللغة المخزونة في ذهن المتحدّث بتلك اللغة . يقول : " الكفاية اللغوية تعني القدرة على إنتاج الجمل وتفهُّمها في عملية تكلّم اللغة ، وهي أيضا مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان ، والتي تمكّنه من بناء الجمل ، فهي تعني امتلاك الآلية اللغوية " [3] .

مفهوم القدرة في الدراسات اللغوية الحديثة :

منذ ظهور اللسانيات الحديثة تجلّت فيها ظاهرة المفاهيم الثنائية التي تحكم بنيتها النسقية ، وتحدّد أطرها المعرفية في أنماط معروفة ، فظهرت ثنائية (النظام العام / الاستعمال الفردي) ، وثنائية (الجملة / المنطوق) ، وثنائية (الحدث القولي / الحدث الإنجازي) ، وثنائية (اللغة / الكلام) ، وثنائية (الدلالة / التداولية) ، وأخيرا ثنائية (الكفاءة / الأداء) [4] .

وقد حازت ثنائية (الكفاءة (القدرة / الأداء) اهتماماً خاصاً في النظرية اللسانية العامة ، وما تحتويه من نظريات لسانية خاصة مثل التوليدية عند تشومسكي ، والنظرية التداولية بما تحمله من خطابات متعددة لمفهوم القدرة والكفاءة .

1- مفهوم القدرة / الكفاءة في النظرية التوليدية لتشومسكي :

---

1 - Roland Eluerd ; pour aborder la linguistique. Edition ESF seme edition .tome 1 , 1968 , p 108 .

2 – د. عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، دار توبقال ، الرباط ، 1982 ، 256/2 .

3 – د. ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1993 ، 61 .

4 - N.chomsky , Principles and Parameters in Syntactic Theory , Edited by Norbert Hornstein and David Light Foot , Longman,London,(1983), 76 .

كان صنيع تشومسكي في نظريته اللغوية تحولاً في الشكل والمضمون ، ويختلف تمام الاختلاف عمّا جاءت به البنيوية السابقة عليه . وهذه النظرية في حقيقة الأمر نظريتان متكاملتان، فالنظرية التوليدية عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل [1] . والتوليد " عملية إبداعية تميّز الإنسان أبله كان أو ذكياً عن بقية المخلوقات الحيوانية ، وتسقط عنه صفة الآلية " [2] .

أما النظرية التحويلية فتُعْنَى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف ، والاستبدال ، والإضافة ، وتغيير الموقعية على الجمل النواة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة [3] .

وقد اعتمد تشومسكي في تأسيس نظريته اللغوية على مجموعة من المبادئ والفرضيات التي تم تعديلها وفق مقتضيات التطور النظري وآلياته ، من هذه المبادئ ما يلي [4] :

أ- اللغة أفضل مرآة تعكس بصورة دقيقة وأمينة آليات التفكير في عقل الإنسان ، وهذه نقطة التلاقي بين علم النفس وعلم اللغة .

ب- مفهوم التحويل : وهو مفتاح نظرية تشومسكي، وتقوم فكرته على تطبيق مجموعة محددة من قواعد التحويل كالحذف والإضافة والاستبدال وتغيير الموقعية على عدد محدود من الجمل الصحيحة الأساسية (الجمل النواة أو الإخبارية) للحصول على عدد غير متناه

---

1 - ينظر : تشومسكي ، جوانب من نظرية النحو ، ترجمة : مرتضى جواد ، مطبعة جامعة البصرة ، العراق ، 1983 ، 28 .

2 - مارك ريشال ، اكتساب اللغة ، ترجمة : كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 ، 43 .

3 - ينظر : د. محمود حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للنشر ، القاهرة ، 1998 ، 123 .

4 - ينظر : جون ليونز ، نظريات تشومسكي اللغوية ، ترجمة : د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 ، 210 -233 .

من الجمل الصحيحة، مثل الجمل المنفية أو الاستفهامية أو المبنية للمجهول أو المفيدة للحصر والقصر...

ج- النموذج الذهني والإبداع : تبنى تشومسكي مفهوم القدرة اللغوية الفطرية للإنسان أو ما يسمى بالنموذج الذهني ، وهو عبارة عن آليات وقدرات لغوية فطرية غريزية تنمو من خلال التفاعل مع البيئة اللغوية أثناء مرحلة الطفولة ، وتساعد على تقبل المعلومات اللغوية واكتسابها وتخزينها وتكوين قواعد اللغة الأم ، على مراحل تصاعدية ، حتى تصل لمرحلة الاكتمال والثبات ، وعندها يستطيع الطفل صياغة جمل لا متناهية لم يتكلم أو يسمع بها من قبل ، وهذا هو مفهوم الإبداع، فالإنسان يتمتع ويتميز عن غيره من الكائنات بالتفكير واللغة والذكاء ، فأغبى الناس يستطيع التكلم بينما أذكى الحيوانات لا يستطيع ذلك أبدا .

لاحظ تشومسكي أن الطفل يختلف عن الكائنات الأخرى بقدرته على التفكير الاستقرائي إذا تعرض للمعطيات اللغوية ، حيث يكتسب القدرة على فهم اللغة وإنتاجها ، في حين أن أي كائن آخر لن يكتسب أيًّا منها ، وسمى هذه القدرة اللغوية الإنسانية الخاصة بـ"جهاز اكتساب اللغة"، واقترح أن تكون إحدى مهام اللسانيات معرفة هذا الجهاز ، وماهية القيود التي يضعها على مجموعة محتملة من اللغات [1] .

إنّ نظرية تشومسكي تنبني في جوهرها على وجود تركيبات أساسية تشترك فيها اللغات الإنسانية ، كما أنّ وظيفة القواعد التحويلية التي اقترحها في نظريته كانت مهمتها تحويل تلك التراكيب الأساسية (Deep Structure) إلى (تراكيب سطحية Surface Structure) ، وهي تلك التراكيب اللغوية المنطوقة فعلا ، ويتلقاها السامع للغة [2] .

ويرى د. محمد الخولي أن " عملية وصف العلاقة بين التركيب الباطني (Deep) والتركيب الظاهري (Surface) تسمى (تحويلاً Transformation) ، أو قانوناً تحويلياً (Transformation Rule) ، والعلاقة بين التركيبين تشبه عملية كيمياوية يتم

1 – ينظر : تشومسكي ، المعرفة اللغوية ؛ طبيعتها وأصولها واستخدامها ، ترجمة : د. محمد فتيح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993 ، 6-21 .

2 – ينظر : د. أحمد ياقوت، في علم اللغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998 ، 27 .

التعبير عنها بمعادلة أحد طرفيها المواد قبل تفاعلها (Input) ، والطرف الآخر هو الناتج بعد التفاعل (Output) " [1] . وبتعبير أوضح ؛ إنّ القواعد التحويلية هي التي تضفي على كل جملة تولّفها تركيبين ؛ أحدهما باطني أساسي ، والآخر ظاهري سطحي ، وتربط بين التركيبين بنظام خاص .

ويرى د. عبده الراجحي أنّ من أهم جوانب نظرية تشومسكي ذكره أنّ " الظاهرة اللغوية كظاهرة عقلية لا يمكن تفسيرها بثنائية الفعل وردّ الفعل كما كان يُعْتَقَد سابقا ، وإنما بمحاولة دراسة القابلية اللغوية لدى الإنسان ، وأنّه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا إذا توسّع الدرس اللغوي فشمل إلى جانب الظواهر اللغوية أو التراكيب السطحية التراكيب العميقة التي تطرأ على هذه التراكيب قبل أن تصبح ظاهرة " [2] .

فتشومسكي في نظريته التوليدية يرفض " النظرة الآلية إلى اللغة من حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال المثيرات والاستجابات، كما يرى أنّ الطفل يكتسب لغة البيئة التي ينشأ فيها اعتماداً على مقدرته الفطرية في اكتساب اللغة ، تلكم المقدرة التي يطلق عليها مصطلح الكفاءة اللغوية أو القدرة الإبداعية " [3] .

أنواع القدرة :

تعددت أنواع القدرة وتفريعاتها حسب سياق كل فنّ يتمّ تناولها فيها ، فظهرت أنواع مختلفة من القدرات منها ؛ القدرات اللغوية وما تشمله من فروع ، والقدرات غير اللغوية والتي تسمى (القدرات العقلية الفعلية للإنسان) . وبيانها كما يلي [4] :

أولاً : القدرات اللغوية ، وتشمل :

---

1 – د. محمد الخولي ، قواعد تحويلية للغة العربية ، دار الفلاح ، الرياض ، 1981 ، 22 .

2 – د. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث ،دار النهضة العربية ، بيروت، 1986، 112 . وينظر : عبد السلام المسدّي، اللسانيات من خلال النصوص ، الدار التونسية، تونس، 1984 ، 105 .

3 – المسدّي ، اللسانيات من خلال النصوص ، 105 . وينظر : د. حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1994 ، 16 .

4 – ينظر : د.مجيد الماشطة ، شظايا لسانية ، دار السياب ، لندن ، 2008 ، 91 . د. محمد يونس ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2004 ، 47 .

1- القدرة اللسانيّة (اللغويّة) : وتشمل المعرفة النحوية التي تمكن الفرد من التعبير الصحيح عن المعنى الحرفيّ في مختلف المستويات اللسانية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وهذه القدرة توافق مفهوم (القدرة / الكفاءة) عند تشومسكي .

2- القدرة التداوليّة (التواصليّة) : وهي قدرة عامة تشمل في داخلها مجموعة متفرّعة من القدرات الثانوية منها :

أ- القدرة الخطابيّة : ومنوط بها العمل على ربط الجمل والتراكيب لتكوين خطاب له معنى ودلالة ، في سلسلة لغوية متتابعة من الأبنية والتراكيب ، مع ضرورة توفّر خاصيتي السبك والانسجام بين عناصر الخطاب المنتج .

ب- القدرة الاجتماعيّة : ويقصد بها معرفة المتكلّم / السامع للقواعد الاجتماعية للاستعمال اللغوي ، أي معرفة القوانين التي تحدد الملاءمة وعدمها للخطاب المنتج مع العادات اللغوية للمجتمع .

ج- القدرة الحواريّة : وهي قدرة خاصة بتحقيق الملاءمة اللغوية للخطابات المنتجة لنصوص اللغة من خلال التنسيق الذي يقوم به المتكلم / السامع لتحقيق الترابط بين الشكل والمعنى والوظيفة التواصلية المرجوة من البناء اللغوي المنتج .

ثانياً : القدرات غير اللغوية ، وتشمل :

1- القدرة الثقافية: ويقصد بها مجموعة القيم والمبادئ التي تتشكل منها معارف الإنسان المختلفة في مختلف الاتجاهات التي تحيط به، كما أنها تمثّل الهوية الخاصة له.

2- القدرة الإستراتيجية : وهي الخاصة بتنمية الذات الفردية ، وبناء الشخصية الإنسانية ، ورسم معالمها التي تتيح لها التنمية في مختلف الأصعدة التي يحيا فيها الإنسان .

3- القدرة المنهجية : وتختص بكيفية استخدام الفرد الإنساني للتقنيات المستحدثة في تعضيد نشاطه الفكري والإبداعي ، وتنمية المهارات المختلفة في نواحي الإبداع والتصنيف والبحث والاستقراء والاستنباط والاستنتاج والتخطيط وغير ذلك من مهارات.

4- القدرة التخطيطيّة (التقويميّة) : وهي التي تمكّن الإنسان من تعديل مساره اللغوي أو غير اللغوي إذا ما اعتراه خطأ ما ، أو انحراف عن المنهج ، فهذه القدرة عنصر معرفيّ مهم جداً ، يمكن الاستعانة به عند أيّ خلل لتقييمه ومن ثمّ تقويمه.

وهذه القدرات بنوعيها ؛ اللغوي وغير اللغوي عوامل مساعدة تستعين بها المنظومة اللغوية في تطوير جوانبها الكلية عامة ، وجوانبها التواصلية بصورة خاصة .

مفهوم الكفاءة اللغوية عند تشومسكي :

يتحدّد مفهوم الكفاءة اللغوية عند تشومسكي من خلال نظرته للغة الإنسانية بوصفها خاصية تميّز الإنسان عن غيره من المخلوقات . فاللغة " ميزة إنسانية ، ويستطيع كلّ إنسان إنتاج عدد غير متناه من جمل لغة بيئته ، حتى وإن لم يسبق له سماعها من قبل ، وهذه المقدرة على إنتاج الجمل وتفهّمها في إطار النظرية التوليدية التحويلية تعرف بالكفاية اللغوية " [1].

فالكفاءة اللغويّة عند تشومسكي مصطلح لغوي محدّد يقصد به معرفة المحادِث (المتكلم ، السامع) بلغته . ومعرفة المتكلّم بلغته أي معرفة القواعد الأساسية التي بواسطتها يتمّ تشكيل الجمل وتركيبها وصياغتها صياغة صحيحة [2] .

فالكفاية عند تشومسكي ترتبط بمفهوم القدرة والتي يقصد بها " قدرة المتكلّم / السامع المثاليّ على أن ينتج انطلاقاً من قواعد ضمنية عدداً غير متناه من الجمل التي تقود عملية التكلّم والتواصل . وهذه القواعد الضمنية التي تتسم بالكفاءة يجب أن تعطي كلّ جملة من المدى اللانهائيّ من الجمل وصفاً بنيوياً يشير إلى كيفية فهمها من قبل المتكلّم / السامع المثاليّ . وتكوّن هذه القواعد التوليدية نظام قوانين يمكن أن يُعاد استعمالها باستمرار للحصول على عدد غير محدود من البنى . ونظام القوانين هذا يقسّم إلى المكوّنات الرئيسة الثلاث في القواعد التوليدية وهي : المكوّنات النحوية والفونولوجية والدلالية " [3] .

---

1 – د. عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث ، 112 .

2 – ينظر : د. محمد يونس ، المعنى وظلال المعنى ، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، 2007 ، 148 .

3 – تشومسكي ، جوانب من نظرية النحو ، 39 .

وقد ارتبط بمصطلح الكفاءة مصطلح آخر هو (الأداء Performance) الذي يعني الاستعمال الآني للغة في سياق محدّد . فهو انعكاس للكفاية اللغوية ، وبه تنتقل اللغة من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل . يقول تشومسكي في إيضاح مدلول هذا المصطلح :" التأدية هي الاستعمال الفعّال للغة في مواقف مادية واضحة " [1] .

فالتأدية ما هي سوى الممارسة الفعلية والآنية لملكة الكفاية ، وإخراج لنظامها اللغوي الضمني من الحيز اللاشعوري إلى الحيّز الإدراكي الفعّال في ظروف مادية متنوّعة .

ويرى د. ميشال زكريا أن " صورة الكلام المتلفّظ به تتغيّر من شخص لآخر تبعاً لعوامل عديدة كالانتباه والتعب والانفعال ؛ ذلك أنّ الأداء الكلامي وإن يكن ناجماً عن الكفاءة اللغوية فإنّه يتضمّن في الحقيقة عدداً من المظاهر الطفيلية ، وترجع هذه المظاهر الطفيلية إلى عوامل مترابطة خارجة عن إطار اللغة ، نذكر منها ؛ العوامل السيكولوجية (ضعف الذاكرة ، والانفعال ، وعدم الانتباه ...) ، والعوامل السوسيوثقافية مثل: الانتماء إلى مجموعة اجتماعية ، وطريقة التدريس اللغوي" [2] .

إنّ الأداء الكلامي لن يتحقق بالفعل إلا بصيانة المتلفّظ وعزله عن مجموع المؤثرات التي تشتت الانتباه ، وتتداخل في الوقت ذاته مع كفاءته اللغوية . فالأداء الكلامي أو الكلام المنتج لن يأتي على الوجه الصحيح إلا إذا انتظم بعيدا عن المثيرات المشتتة ، لأنه الوجه الخاص الذي يظهر في شكل الكلام المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة لدى الفرد الإنساني [3] .

وعلى هذا فإنّ الملكة اللغوية (الكفاءة) والأداء وجهان يتكاملان من أجل إنجاز الفعل اللساني (الكلام) ، فإن كانت الكفاءة تتعلق بمعرفة القواعد اللغوية فإنّ الأداء هو

---

1 - N. Chomsky : Aspects de la theorie syntaxque , traduit par Jean Claude Milncr , edition du seuil , Paris . 1974 , p14.

2 – د. ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، 1986 ، 8 .

3 – ينظر : د. خليل عمايرة ، في نحو اللغة العربية وتركيبها ؛ منهج وتطبيق ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 ، 58 .

الانعكاس المباشر لها ، والأداء له طابع فردي يختلف من فرد لآخر بحسب اختلاف الظروف المحيطة ، والعوامل المؤثرة في بيئة التلفّظ ، في حين أن الكفاءة عامة ومشتركة بين أبناء المجتمع اللغوي الواحد ماداموا جميعا لديهم المعرفة اللغوية ذاتها بنظام اللغة وقواعدها [1] .

ولعلّنا هنا نذكر قول تشومسكي عن الملكة اللغوية (الكفاءة) إذ يقول : " إن الملكة اللغوية خصيصة من خصائص النوع ، وعامة في أفراده ، ومقصورة عليه في صفاتها الأساسية ، وهي قادرة على إنتاج لغة غنيّة مفصّلة ومعقّدة على أساس من مادة لغوية قليلة "[2] .

1- مفهوم القدرة / الكفاءة في النظرية التداولية :

أشرنا فيما سبق أن من أنواع القدرات اللغوية ما يسمى (القدرة التواصلية / التداولية) ، أو ما يطلق عليه في النظرية التداولية (الكفاءة التواصلية) [3] . والكفاءة التواصلية أو ما يصطلح عليه عند اللسانيين بالقدرة التواصلية لا يقتصر مفهومها على معرفة النسق اللغويّ ، و إنما يتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية استعمال اللغة في السياق الاجتماعيّ .

فالنظرية التداولية تهتم بمفهوم القدرة / الكفاءة التواصلية رغبة في تحديد مكونات هذه الكفاءة ، ورد فعل لمقررات تشومسكي في نظرته للقدرة التوليدية بدعوى أنّه يهمل الملاءمة السياقية والبعد الاجتماعي للتلفّظ اللغوي ، ومن ثمّ فإنه بهذا الفهم يعزل اللغة عن شروط توظيفها . وقد ذهب (ديل هايمز) إلى أن تعريف تشومسكي للقدرة تعريف ضيّق لا يتناسب مع تصوّر الطبيعة الاجتماعية للغة ، ولذا اقترح بديلاً للقدرة التوليدية مصطلح (القدرة/ الكفاءة التواصلية) [4] . يقول هايمز في تعريف الكفاءة التواصليّة : "

---

1 – ينظر : د. ميشال زكريا ، الألسنية ؛ علم اللغة الحديث ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، 1983 ، 277 .

2– تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة : حمزة المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990، 46 .

3 – ينظر : د. أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 2004 ، 40 .

4 – ينظر : د. أحمد المتوكّل ، الخطاب وخصائص العربية ؛دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010 ، 23 .

قدرة المتكلّم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة ، لا جمل نحوية فقط " [1] .

وعلى هذا فإنّ الكفاءة التواصلية يقصد بها امتلاك المخاطب البديهة الكافية التي تمكّنه عند فعل الكلام من توظيف اللغة وتفسيرها بشكل مناسب لعملية التفاعل في السياق الاجتماعي ، فعلى الفرد أن يعرف بالتحديد " متى يتكلّم ؟ ومتى لا ينبغي له أن يتكلّم ؟ وما الذي يتكلّم حوله ؟ ومع من ينبغي له التحدّث ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وبأيّ طريقة كان أسلوبه الجديد ؟ " [2] .

ويرى دوجلاس براون أن الكفاءة التواصلية تشمل " المعرفة بأصول الكلام وأساليبه ، ومراعاة المخاطبين ، مع امتلاك القدرة على تنويع الكلام حسب مقتضى الحال ، إضافة إلى المعرفة الواعية بقواعد اللغة ومفرداتها " [3] .

إن الإضافة التي أضافتها النظرية التداولية لمفهوم القدرة / الكفاءة تتمثّل في إسناد وظائف أخرى لمفهوم القدرة التوليدية الذي يقف عند حدود الإنتاج اللغوي ، إذ يضاف إلى هذا الإنتاج اللغوي وظائف أساسية في مجال التحليل السياقي للنصوص والتراكيب ، وما يستتبع ذلك من خصائص تلحق الملفوظ والمخاطَب ، رغبة منها في الوصول إلى إنجاح عملية التواصل المرجوة من فعل التلفّظ . إلا أنّ " تقنية هذا التواصل تعلو على مفهوم الإخبار (Informative) المعتاد طرحه في سياق الدرس اللغوي عموماً ، رغم أنّ الإخبار يقتضيه ، فكلّ تواصل إخبار ويكرّس عمليا وجوده الفعلي فيه ، أي في عملية التواصل " [4] .

1- Hymse Dell ; Sociollinguistics and Ethnography of Spoken . Twistock – London .(1971) , p 93 .

2 – أرمينيكو ،المقاربة التداولية، ترجمة : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط ، 1986 ، 5 .

3 – دوجلاس براون ، أسس تعلم اللغة وتعليمها ، ترجمة : د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1994 ، 244 .

4 – فان دايك ، العلاماتية وعلم النص ، ترجمة : د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، دمشق ، 2009 ، 172 .

وللكفاءة التواصلية ثلاثة مكوّنات أساسية في بنيتها اللغوية تتمثل في [1] :

1- **المكـون اللـسانيّ** : ويتمثّل في اكتساب المتلفّظ القدرة على إنتاج النماذج الصوتية والمعجمية والتركيبية الخاصة بنظام اللغة .

2- **المكوّن الخطابيّ**: ويقصد به اكتساب المتلفّظ القدرة على توظيف مستويات مختلفة من الخطابات وفقاً لوضعيات التواصل وسياقاتها المتنوّعة .

3- **المكوّن المرجعيّ** : ويكمن في إدراك المتلفّظ للمعايير والضوابط التي تحكم بنية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد وفقاً لثقافاتهم المتنوّعة .

فالتداولية تركّز على القدرة / الكفاءة اللغوية من أجل فعل التواصل ، فهو غاية النظرية ، ومرجع الأطر المختلفة لسياقاتها . فالتداولية تجعل من الكفاءة التواصلية محور عملية التبليغ من أجل إتمام عملية تواصل واتصال فعّال . يقول جون سيرل : " قصد الاتصال هو أن أوَلّد لدى المستمع المعرفة بمعناي ، بجعله يتعرّف على قصدي في توليد تلك المعرفة عنده " [2] .

إنّ القدرة / الكفاءة التداولية تمثّل بصورة ضمنية الجانب التواصلي لأفعال الكلام التي يقصد فيها المتلفّظ إنتاج تأثير فعلي محدّد في المتلقي لهذا الكلام ، وهذا التأثير لا بد وأن يدركه المستمع لأنه مقصود من جانب المتلفّظ ، وهذه الغاية التواصلية في التداولية هي ما تسم الفعل اللغوي هنا بأنه تواصلي .

ويشير فان دايك إلى أن الكفاءة التواصلية تتكوّن من خمس ملكات أساسية [3] :

1-**الملكة اللغوية** : ويقصد بها معرفة اللغة ، والقدرة على إنتاجها .

2-**الملكة المنطقية** : وهي معرفة خاصية الاستبدال والاستنباط اللغوي .

---

1 – ينظر : د. بشير إبرير ، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي ، عالم الكتاب ، الأردن ، 2010 ، 74-75 .

2 –جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة : د. سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2006 ، 213 .

3 – ينظر : فان دايك ، النص والسياسة ، إقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ت : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2000 ، 221 – 223 .

3-**الملكة المعرفية**: ومنوط بها امتلاك الذخيرة اللغوية وتنميتها بشتى السبل .

4-**الملكة الإدراكية** : وتختص بإدراك المحيط الاجتماعي والثقافي لبيئة التلفّظ .

5-**الملكة الاجتماعية** : وتعنى بمعرفة قواعد التواصل الاجتماعي .

وكلّ ملكة من هذه الملكات تؤدّي دوراً محدّداً في موقف تواصلي معيّن ، وذلك بغرض تحقيق أهداف تواصلية مخطط لها مسبقاً . وهي ملكات مستقلة عن بعضها ، ولكلّ منها خصائص تميّزها عن الأخرى ، غير أنّها تتفاعل فيما بينها عند استعمال اللغة في المواقف الاتصالية المتنوّعة .

وعاد فان دايك وصنّف هذه الملكات الخمس إلى قوالب يختص كلّ قالب منها بملكة معيّنة وهي (القالب النحوي ، والقالب المعرفي ، والقالب الاجتماعي ، والقالب الإدراكي ، والقالب المنطقي) [1] .

غير أنّ د. أحمد المتوكّل يصنّفها إلى " فئتين رئيستين هما :

أ- **فئة قوالب الآلات** : وتضمّ (القلب النحوي ، والقالب المنطقي) .

ب- **فئة قوالب المخازن** : وتضمّ (القالب المعرفي ، والقالب الإدراكي ، والقالب الاجتماعي) . وقوالب الآلات يقصد بها : القوالب التي تقوم بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها . أمّا قوالب المخازن فدورها يقتصر على إمداد الفئة الأولى بما تقتضيه عملية الإنتاج اللغوي والتأويل من معلومات لا تختص باللغة " [2] .

ويرى د. عبد الهادي الشهري أنّ هذه القوالب في عملها تتفاوت في أثرها فيما يخصّ صنع الخطاب من سياق لآخر " إذ يمكن أن تعمل كلّ منها في آن واحد وبدرجات متفاوتة ، كما قد لا يعمل إلا بعض منها في وقت آخر "[3] .

فالكفاءة اللغوية لا تكفي وحدها لإتمام عملية التواصل ، بل يجب أن تُدعَم بالكفاءة التواصلية ، لأنّ " القوانين اللغوية تستطيع أن تصف ما يستطيع أن يفعله المرسِل

---

1 – ينظر : فان دايك ، النص والسياسة ، 225 .

2 – د. أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، المغرب، 2005، 30 .

3 – د. عبد الهادي الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ؛ مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2004 ، 58 .

والمرسَل إليه في لغة معيّنة ، أما قوانين التواصل فإنّها تصف ما يستحسن فعله ، وتتعامل الاستراتيجيات مع عملية اختيار أفضل الوسائل تأثيراً في السلوكيات التواصلية التبادلية " [1] .

والمقصود هنا باستراتيجيات الخطاب " المسلك المناسب الذي يتخذه المرسِل للتلفّظ من أجل تنفيذ إرادته ، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية ، وفقاً لما يقتضيه السياق (سياق التلفّظ) بعناصره المتنوعة ، ويستحسنه المرسِل " [2] .

كما أنّ عناصر السياق الاجتماعي تتدخل في تحديد استعمالات اللغة ، وفي تحديد الإستراتيجية اللغوية المناسبة لأداء الكفاءة التواصلية " ليتواصل المرسِل مع غيره بالخطاب عبر إستراتيجية معيّنة، يقتضي أن يمتلك كفاءة تفوق كفاءته اللغوية ، ليتمكّن بها من تحقيق ذلك،ويمكن تسمية هذه الكفاءة بالكفاءة التداولية أو التواصلية" [3] .

ويتضح جلياً أن الكفاءة التواصلية تتمايز عن التأثيرات التي تنتجها (أفعال الكلام) التداولية التي يقصد المتكلّم إنتاجها في ذهن المتلقي ، وانعكاس هذا الإنتاج في ذهن المتلقي ومن ثم في تلقيه وفهمه للرسالة اللغوية هو ما يمكن تسميته (الكفاءة التواصلية) . يقول جون آدمز في إيضاح الفرق بين الكفاءة التواصلية والفعل الكلامي : " خذ مثلاً على ذلك حينما يطلق المتكلّم توكيداً فإنّه يقصد إلى أن يدرك المستمع أنّ المتكلّم يطلق توكيداً ، وفضلاً عن قصد المتكلّم في تقديم هذا التأثير التواصلي ، فقد يقصد المتكلّم إلى تصديق المستمع لهذا التوكيد ، هذا التأثير الإضافي وما يشبهه بلاغيّ أكثر منه تواصليّ " [4] .

---

1 - B.J.Haselt : communication ; strategic action in context ,LEA, New Jersey , 1987 .160 .

2 – د. عبد الهادي الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، 63 .

3 – د. أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993، 9 .

4 – جون آدمز ، التداولية والسرد ، ترجمة : خالد سهر ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، 1987 ، 96 .

*** مفهوم الكفاءة التخاطبيّة :**

يقصد بالكفاءة التخاطبية التداولية الجوانب التي تتعلق بطبيعة الخطاب الملفوظ من حيث البنية الخاصة به ومحتواه اللغوي والثقافي والاجتماعي . كما أنها يناط بها تحقيق التكافؤ التداولي بين أطراف عملية التخاطب اعتماداً على سمتين أساستين هما : (الدلالة في القصدية ، والفاعلية في التقبّل) [1] .

فبنية الخطاب اللغوي تحدّد أولا في صورة قصدية يريد المتكلّم إنتاجها عليها ، أي في هذه الصورة والهيئة ، وأيضاً المحمول الدلالي التي يريدها أن تظهر به ليصل إلى مستمعه ، وهذا ما يقصد (بالدلالة في القصد) . أما الفاعلية في التقبّل فيقصد بها ما ينتخبه المتكلّم من كلامه في الصورة القصدية للخطاب اللغوي وفق ما يراه متناسبا مع رؤيته ، ومناسباً للحالة المقامية التي يريدها أن تصل إلى أفهام المتلقي ، وتحقيق مبتغاه من عملية التخاطب التواصلي .

ويرى د. عفيف الدوري أن هاتين السمتين للكفاءة التخاطبية (الدلالة في القصد ، والفاعلية في التقبّل) تقتربان كثيراُ من " المفهومين التداوليين ؛ (المقصودية ، والمقبولية) ؛ إذ الأول مخصوص بجانب منشئ النص ، أيّ أنّ تخضع المتوالية اللغوية في النص لنية المتكلّم وقصده . أما المفهوم الثاني فهو في جانب متلقي النص من حيث تقبّله واستعداده لتلقيه عبر جهازه المفاهيمي وصولاً إلى فهم النص وتأويله " [2] .

ويمكن أن يتفرّع عن هذين المفهومين التداوليين تفاصيل تشمل العملية التخاطبية كلّها ؛ من المتكلّم ، والمخاطب ، وفعل التلفّظ ذاته بما يحويه من وحدات بنائية كاملة . كذلك تشمل المعرفة الضرورية بأصول التخاطب اللغويّ ومبادئه من حيث " الكمّ ، والكيف ، والمناسبة ، والأسلوب ، وهي تلك المبادئ التي سمّاها بول جرايس (أسس التعاون اللغويّ ، أو قواعد المحادثة الكلامية أو الحوارية) [3] ، بما يساعد كلا من المتكلّم والمخاطب على بلوغ تخاطب تداوليّ تواصليّ ناجح .

---

1 – ينظر: د. الطاهر بن حسين، أصول الشعرية العربية ،الدار العربية للعلوم ، بيروت، 2007، 91 .

2 – د. عفيف الدوري، التداولية في الترجمة، مجلة دراسات الترجمة، جامعة البصرة، ع 1، 2001 ، 77 .

3– بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، دمشق، 2007، 80 .

وتشتمل الكفاية التخاطبية على العناصر الآتية :

1- معرفة المواضعات اللغوية (المعجمية منها ، والقواعديّة) .

2- قدرة المتخاطبين على الاستنتاج المنطقي المرتبط بسمات اللغة.

3- معرفة المتخاطبين بأصول التخاطب .

ويعدّ كلّ عنصر من هذه العناصر الثلاثة مصدراً ومفسرًا لنوع أو أكثر من أنواع المعنى ، فالمواضعات اللغوية يستنبط منها المعنى الوضعي ، كما أن لها صلات متفاوتة القوة باستنباط المعاني الأخرى . والاستنتاجات المنطقية ترتبط بالمعاني المنطقية ، كالتضمن ، والافتراض . وأصول التخاطب (أو مبادئ التعاون كما يسميها بول جرايس) تعين على استنباط المفاهيم التخاطبية [1] .

*** الكفاءة التخاطبيّة والتواصل :**

التَّواصل اللّسانيّ هو سيرورة اجتماعيَّة مفتوحة على الاتِّجاهات كافَّة ؛ إذ لا تتوقَّف عند حدٍّ بعينه ، بل تتضمَّن عدداً هائلاً من سلوكيَّات الإنسان السِّيميائيَّة تتمثَّل في: اللُّغة والإيماءات ، والنَّظرة ، والمحاكاة الجسديَّة ، والفضاء الفاصل بين المتحدِّثين ، وعليه لا يمكن الفصل بين التَّواصل اللَّفظيِّ ، والتَّواصل غير اللَّفظيِّ السِّيميائيِّ ؛ لأنَّ الفعل التَّواصليَّ هو فعل كليٌّ [2] .

وقد تطوّرت الدراسات الخاصة بعمليَّة التَّواصل على يدِ اللُّغويّ رومان جاكبسون في بداية الستِّينيَّات من القرن الماضي، إذ حدَّد جوهر التَّواصل اللّسانيّ، وجعله قائماً بستة عناصر؛ هي على التَّوالي [3] :

1- المرسل: (Sender) ، وهو الطَّرف الأوَّل والأساسيّ في عمليَّة التَّواصل، والمسئول عن إرسال الرِّسالة واختيار المرجع وقناة الاتِّصال والرَّامزة.

---

1 – ينظر : بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، 125 .

2 – ينظر : د. سعيد بنكراد ، إستراتيجية التواصل من اللفظ إلى الإيماءة ، مجلة علامات ، الدار البيضاء ، ع21 ، 2004 ، 11 .

3 – جاكوبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء ، 1988 ، 27 .

2- المرسَل إليه: (Sent to) ، وهو الطَّرف الآخر في عمليَّة التَّواصل، والمستقبل لمضمون الرِّسالة، المسئول عن عمليَّة إنجاح التَّواصل أو إفشاله.

3- الرِّسالة: (Message) ، وهي عبارة عن متتالية من العلاقات المنقولة بين المرسِل والمرسَل إليه بواسطة قناة تستخدم لنقل الرَّامزة؛ أي هي مجموعة من المعلومات المترسِّخة حسب قواعد وقوانين متَّفق عليها، تشكِّل بعداً ماديِّاً محسوساً من الأفكار التي يرسلها المرسل وتحيل على المرجع العام المشترك بين المرسِل والمرسَل إليه . ويكمن الفرق بين رسالة وأخرى في مدى إظهار قوَّة حضور كلِّ وظيفة من الوظائف السِّتِّ، وحسب نيَّة التَّواصل وأهدافه والظُّروف المحيطة في إنجاح عمليَّة التَّواصل أو إفشالها.

4- المرجع: (Reference) ، يمثِّل البيئة الَّتي يحيل إليها الخطاب؛ أي ما يتحدَّث عنه طرفا التَّواصل، والَّذي "ينشأ نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محدَّدة وفق بروتوكول مقبول بالإجماع، ونتيجة وجود إمكان متاح لأيِّ كان من أجل متابعة هذا التَّطبيق متى عنَّ له ذلك" [1] .

5- قناة الاتِّصال: (Means of communication) ، وهي متنوِّعة تبعاً للوسائل المستعملة من قبل المرسِل والمرسَل إليه. مثلاً : الضوء يشكِّل قناة التَّواصل البصريّ ، أمَّا الهواء فيشكِّل قناة للتَّواصل الشَّفويّ وجهاً لوجه .

6- الشفرة: (Code) ، وهي الوسيط الحامل لمضمون الرِّسالة .

إنَّ ارتباط العناصر السَّابقة المكوِّنة لعمليَّة التَّواصل بنسب متفاوتة فيما بينها ينتج الوظائف السِّتَّ لهذه العمليَّة ، وهذا الارتباط مقترن بالهدف المنشود من هذه العمليَّة ؛ إذ " إنَّ الغرض الَّذي نهتمُّ به يتحكَّم في طبيعة تقسيم الوظائف وتحديدها " [2]؛ وهي على التَّوالي: (الوظيفة الانفعاليَّة / المرسل) ، والوظيفة النِّدائيَّة الإفهامية

1- فرانك مانفرد ، حدود التَّواصل ، ترجمة : عز العرب بناني ، إفريقيا الشَّرق ، الدار البيضاء ، 2003 ، 38 .

2- د. مصطفى ناصف ، اللُّغة والتَّفسير والتَّواصل ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثَّقافة ، الكويت، ع (193)، 1995 ، 85 .

(المستقبِل) ، والوظيفة المرجعيَّة (المرجع أو السياق) ، ووظيفة إقامة الاتِّصال (قناة الاتصال) ، وظيفة تعدِّي اللُّغة (الكود أو الشفرة) ، والوظيفة الشِّعريَّة (الرسالة) [1] .

*** الكفاءة التخاطبية وسيميولوجيا التواصل :**

إذا كانت اللسانيات تتخذ اللغات الطبيعية موضوعاً لها ، فإنّ السيميولوجيا تتجاوز هذا المجال إلى دراسة مختلف العلامات داخل الحقل الاجتماعيّ سواء كانت هذه العلامات لغويّة أو غير لغويّة . ولذا اختلفت وجهة النظر بخصوص الوظيفة الأساسيّة للغة بين اتجاهين :

- اتجاه يحصر وظيفة اللغة في الوظيفة التواصليّة المباشرة ، وهذا الاتجاه تحكمه النزعة الوظيفيّة ، ويمثله كل من : (ج. مونان ، إ. بويسنيس، وبرييتو) [2] .
- واتجاه يحدد وظيفتها في الوظيفة الدلاليّة ، ويمثله رولان بارت ، الذي يعدّ السيميولوجيا هي العلم الذي يُعنَى بدراسة أنظمة العلامات سواء كانت لغويّة أو أيقونيّة أو حركيّة [3] .

وعليه ، فإذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية ، فإنّ السيميولوجيا تبحث في العلامات اللغويّة وغير اللغويّة التي تنشأ في حضن المجتمع . وعلى هذا الأساس "عندما أعلن عن ميلاد السيميولوجيا باعتبارها علماً جديدًا سيأخذ على عاتقه دراسة ما استعصى على الضبط والتحديد من خلال ما توفره العلوم الأخرى ، سارع الكثيرون إلى ربط هذا العلم بالتواصل الإنسانيّ . فالسيميولوجيا في تصورهم هي علم يختص بدراسة ما يعود إلى الظاهرة التواصليّة في شكلها اللفظيّ أساساً . فالعلامات هي أدوات يستعملها (مرسل / باث) بشكل قصديّ من أجل التواصل مع (مستمع / متلقي) ضمن دورة كلامية تكفّل دو سوسير مبكراً برسم حدودها في كتابه (دروس في اللسانيات العامة) ، وهي

1- ينظر : بيير جيرو ، السِّيمياء ، ترجمة : أنطوان أبي زيد ، منشورات عويدات ، باريس ، 1984 ،12 .

2 – ينظر : مارسيلو داسكال ، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ، ترجمة : مبارك حنون وآخرين، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1987 ، 10 .

3 – ينظر : رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1986 ، 25 .

الآراء التي قادت كلاً من : (مونان ، وبريتيو ، وبويسينس) إلى الدعوة إلى التخلّي عن عالم الدلالة ، والاكتفاء برصد حالات التواصل ووصفها وتحليلها ، اللفظيّ منه بالأساس [1] .

إنّ وظيفة اللغة التواصلية تعطي لمستعمل اللغة الطبيعية إمكانية التواصل ، وإمكانية توظيف العبارات في المقامات المناسبة . وعلى هذا الأساس فإنّ منطلق اللغويين الوظيفيين يمكن تلخيصه في مسألتين أساسيتين [2] :

الأولى : أنّ الوظيفة الأولى والأهمّ للغة هي التواصل .

والثانية : أن تحديد الأهداف التواصلية يعتمد بشكل أساس على بنيات اللغات الطبيعية .

ولعلّ هذا هو المبدأ الذي يحكم أيضا رواد سيميولوجيا التواصل ، حيث يرى أنصار هذا الاتجاه في الدليل السوسيري غير كونه أداة تواصليّة ، أداة قصد تواصليّ . يقول بويسنس : " إن الوظيفة الخاصة بالبنيات السيميوطيقية التي نسميها بالألسنة هي التواصل . ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنة فقط ، وإنما توجد أيضا في البنيات السيميوطيقية التي تشكلها الأنواع السننية غير اللسانية "[3] .

وبذلك يمكن للسيميولوجيا حسب بوسينس أن تعرف باعتبارها "دراسة طرق التواصل ، أيّ دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي يتوخى التأثير" [4] . وقد طالب بويسنس وبرييتو ومونان تلافياً لتفكيك موضوع السيميولوجيا بالعودة إلى الفكرة السوسيرية ، بشأن الطبيعة الاجتماعية للعلامات، لقد حصروا السيميولوجيا بمعناها الدقيق في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية .

---

1 – ينظر : سعيد بنكراد ، استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة ، 4 .

2 – ينظر : د. حافظ إسماعيلي علوي ، اللسانيات الوظيفية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع2 ، 2004 ، 200 .

3 - Buyssens (E) : La communication et l’articulation linguistique. P.U.F. mulger. Paris. Hatier 1974,p54

4 – Ibid : p.80 –

والتواصل لدى بويسنس هو الهدف المقصود من السيميولوجيا ، بل إن السيميولوجيا ينبغي عليها أن تعتني بالوقائع القابلة للإدراك ، والمرتبطة بحالات الوعي ، والمنتجة بقصد التعريف بحالات الوعي [1] . وبعبارة أخرى ، فإنّ التواصل هو الذي يشكّل موضوع السيميولوجيا . "والتواصل المقصود هو من جنس التواصل الإنسانيّ ، لأنّ هذا التواصل هو التواصل الحق" [2] .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما سبق فإنّ موضوع السيميولوجيا هو الدلائل القائمة على القصدية التواصلية ، ولهذا السبب سمّيت هذه السيميولوجيا سيميولوجيا التواصل .

إذا كان اللسان هو الأداة الأكثر استخداماً من طرف الإنسان للتواصل وتحديد رؤيته لنفسه وللآخرين ، فإنّه لا يشكّل نظام الدلالة الوحيد ، والوسيلة الفريدة للاتصال ، إذ نجد أنفسنا محاطين بأنظمة اجتماعيّة دلاليّة غير لسانيّة متنوعة لا تخضع لسلطة اللسان . تقول جوليا كريستيفا : " إن الحركات و الإشارات المرئية المؤلفة و كذا الرسم والصورة الفوتوغرافية والسينما والفن التشكيلي تعتبر لغات من حيث إنها تنقل رسالة من مرسلٍ إلى متلقٍ من خلال استعمال شفرة نوعية ، و ذلك دون أن تخضع لقواعد بناء اللغة الكلامية كما يقننها النحو " [3] .

*** توظيف الكفاءتين ؛ التواصليّة والتخاطبيّة في حديث أصل السنّة .**

عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد : أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه

1 – ينظر : مارسيلو داسكال ، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ، 25 .

2 – مبارك حنون ، دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1987 ، 73 .

3 – جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1988 ، 43 .

وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أمارتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال : فإنّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " [1] .

المخطط التواصليّ في الحديث :

نلاحظ في هذا الحديث الشريف نماذج متعددة من الاتصال وتبادلية الأدوار بين المرسِل والمستقبِل ، مما يثري بيئة التلفّظ ، ويساعد على إتمام عملية تواصل فعّال وفق ما تقرره النظرية التداولية في مقام التلفّظ والتخاطب . يقول د. طه عبد الرحمن : " إنّ حقيقة التواصل الشفهي تكمن في كونه يتيح الدخول في علاقة مع الغير لتحقيق العلاقة التخاطبية " [2] .

والتواصل هو المقصد الأهم في عملية المحاورة ، أو التفاعل التلفظي والتخاطبي بين طرفين . ويرى د. حسن بدوح أنّه لكي تتم عملية المحاورة بشكل يحقق التفاعل المطلوب " يتطلّب الأمر امتلاك أطراف المحاورة لما يسمّى بالكفاءة التواصلية التي تساعد على اكتساب اللغة والتفاعل عبرها ، كما تساعد أيضاً على تأويل الملفوظات سواء في شكلها الصريح أو الضمني ، وتتفرّع هذه الكفاءة التواصلية إلى مجموعة من الكفايات الفرعية هي : الكفاية اللسانية ، والكفاية المنطقية ، والكفاية الموسوعية ، والكفاية

---

1 – ينظر في تخريجه : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ح (8). سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، ح (2610). سنن النسائي ، كتاب الإيمان وشرائعه ، ح (4990) . سنن أبي داود ، باب السنة ،ح (4695) . سنن ابن ماجه ، المقدمة ، ح (63) . مسند أحمد ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، (1/27) .

2 – د. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1988 ، 215.

البلاغيّة التداوليّة ، والكفاية التخيليّة الشعريّة " [1] . وهذه الكفايات الفرعية تتلاقح معاً في نسق متحد هو نسق الكفاية التواصليّة/ التخاطبيّة لإنجاح عملية التفاعل التلفظي التخاطبيّ .

فالكفاية التواصليّة تجمع في ذاتها بين الكفاءة اللسانيّة النحويّة التوليديّة التي أشار لها تشومسكي ، والكفاءة التداولية التواصليّة ، " حيث لا يمكننا الفصل ربينهما دون الإخلال بالتواصل ، لأنّه لا يمكن الفصل بين نسق اللغة والقواعد الضابطة لاستعمال هذا النسق بأنواعها المختلفة ؛ ثقافية واجتماعية وأخلاقية " [2] .

وعليه يمكننا تحليل الكفايات المكوّنة للكفاية التواصلية على النحو الآتي :

فالكفاية الموسوعية هي التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من تكوين مخزون معرفي منظّم ، والاحتفاظ به ، وتوظيفه عند الحاجة إليه ، كما تمكّنه من اشتقاق معارف من عبارات لغوية واختزانها ، ومن ثم استعمالها في تأويل عبارات وملفوظات لغوية أخرى [3] .

أما **الكفاية المنطقيّة** فيناط بها اشتقاق معارف لغوية حديثة من أخرى مخزونة لدى مستعمل اللغة الطبيعيّة ، اعتمادا على مجموعة من العمليات الاستدلاليّة التي تحكمها مبادئ المنطق والاستنباط . وهي متفاعلة مع الكفاية الموسوعيّة إذ تعتمد على ما قد تكوّن لدى مستعمل اللغة بفضل الكفاية الموسوعية [4] .

وتتكوّن **الكفاية البلاغيّة / التداوليّة** من مجموعة المعارف التي يمتلكها أطراف المحاورة ، والإلمام بالمبادئ الخطابية التي تعدّ ضرورية في كلّ تواصل لفظيّ ناجح[5].

إنّ الغرض الأهم في أي تواصل إنساني ، أو تفاعل تخاطبي تلفظي يكمن في فعل (القصد) أو (القصدية) المرجوة من إقامة هذا التفاعل أو المحاورة . وهذا القصد هو

---

1 – د. حسن بدوح ، المحاورة ؛ مقاربة تداولية ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، 2012 ، 3 .

2 – د. حسن بدوح ، المحاورة ؛ مقاربة تداولية ، 122 .

3 – ينظر : د. أحمد المتوكّل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، 36 .

4 – ينظر : حسان الباهي ، اللغة والمنطق ؛ بحث في المفارقات ، دار الأمان ، الرباط ، 2000 ، 140 .

5 – ينظر : د. أحمد المتوكّل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، 37 .

الذي يوجّه مكونات عملية الحوار ، ويثري تفاصيلها . يقول دولو دال : " إنّ عملية التواصل تقوم على أساس هو القصد ، فلا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل ، ودون وجود إبداع ، أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات " [1] .

وهذه القصديّة في عملية التفاعل اللفظيّ هي التي دعت د. طه عبد الرحمن إلى عدّها الأصل في عملية الكلام الإنسانيّ كلّه . يقول : " إنّ الكلام يعدّ أصلاً في كلّ تواصل كائنا ما كان ، حتّى إنّ ما سواه من وسائل التواصل الأخرى ؛ حركات ، وإشارات ، ورموز ، تنتظم على قوانينه ، وتفهم على مقتضاه . ولكن حقيقة الكلام تكمن دائما في انبنائه على قصدين اثنين :

القصد الأول : قصد التوجّه إلى الغير . والقصد الثاني : قصد إفهام هذا الغير " [2] .

ولنحاول تخطيط النماذج التواصلية في الحديث الشريف على النحو الآتي:

*** النموذج الأول (المرسِل الأول / جبريل عليه السلام) :**

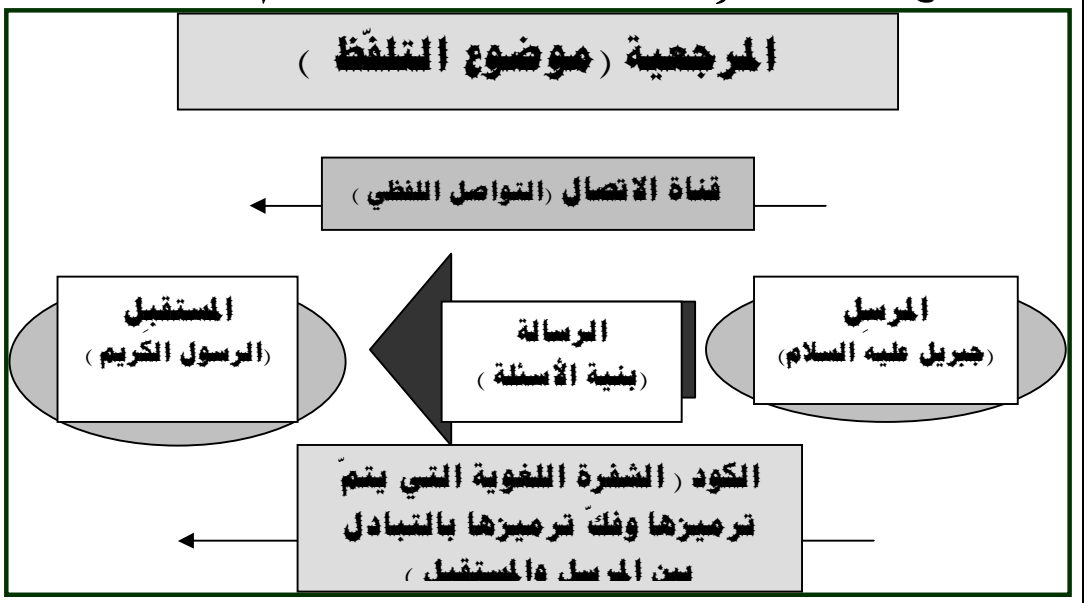

1 – جيرار دولودال ، السيميائيات أو نظرية العلامات ، ترجمة : د. عبد الرحمن بوعلي ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2000 ، 89 .

2 – د. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، 213 .

يتضّح من المخطّط احتواء نصّ الحديث الشريف على عناصر التواصل جميعها من (مرسل ، ومستقبل ، ورسالة ، وقناة اتصال ، ومرجعيّة للخطاب والتواصل ، وترميز أو تكويد لغويّ) ، كما أنّ موضوع التلفّظ وهو (بنية الأسئلة الموجّهة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم) من المرسِل / جبريل عليه السلام ، واضح بفاعلية في بيئة التلّفظ ، بل هو الذي يحكم سياق التخاطب والتواصل في موقف التواصل .

ونلاحظ تفصيل النموذج في الشكل التالي :

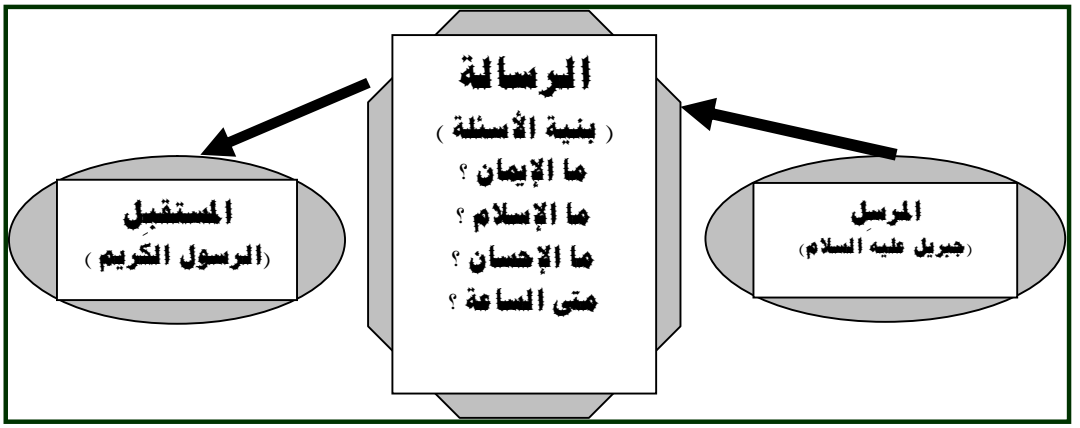

إنّ الشكل السابق يوضّح أنّ المرسل الأول (جبريل عليه السلام) قد حشد الأسئلة متوالية إثر بعضها ، ما إن يتلقى إجابة سؤال حتّى يوالي بالذي يليه ، رغبة في القصدية والإفهام ، وتلقّي الإجابة مع المتلقّين الآخرين في بيئة التلفّظ ، والمشار إليهم في بداية النص الحديثيّ على الشكل الوصفي (بينما نحن جلوس) .. يقول عمر أوكان : " إن المرسل هو محور التواصل ، حيث ترتكز دورة الكلام على الذات المرسلة التي تحدّد نوعية التواصل . والمرسل هو الذي يوجّه العملية التواصلية ، وبالتالي فهو الأساس فيها " [1] .

إن المرسل الأول (جبريل عليه السلام) انتقى بعناية فائقة بنية الأسئلة التي يريد طرحها على المتلقّي المخاطَب (صلى الله عليه وسلم) ، والأمر مشمول هنا بصيغة الوحي . " ففي المحاورة المستجوِب هو الذي يتحكّم في محتوى المواضيع المتبادلة ، وهذا من شأنه أن يخلق لا توازن في الأدوار ، فالمستجوِب (السائل) يستدرج المستجوَب

1 – عمر أوكان ، اللسانيات والتواصل ، مجلة فكر ونقد ، الدار البيضاء ، ع 36 ، 2001 ، 36 .

(المسئول) إلى وجهة معيّنة ومقصودة يتعيّن عليه أن يقدّم إجاباته انطلاقاً منها " [1] . فالقصدية موجودة وحاضرة بقوة في هذا المقام التواصليّ ، لأنّ الأمر يتعلّق ببيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان لعموم المتلقين ، وليس للسائل المرسِل . يقول د. مصطفى حجازي : " المرسِل هو الطرف الذي يتولّى توجيه مجموعة من العلاقات المحمّلة بمعانٍ محدّدة قصد إثارة ردّ فعل معيّن لدى طرف خارجيّ (المخاطَب) " [2] .

إنّ القصديّة التي يتغيّاها المُرسِل ، وما يترتّب عليها من اتفاق الفهم لدلالات الملفوظات المطروحة تجعل من عملية التواصل برمّتها عملية اتفاقية تتم داخل اللغة ، وتلتزم بقواعدها ومخططاتها . " فلِكَيْ تتواصل الأطراف المشاركة في الحوار يستلزم الأمر امتلاك القدرة لفهم علامات الطرف الآخر ، ومعرفة استعمالاتها المختلفة ، وكذلك الدلالات المختلفة التي تحملها " [3] .

إنّ نموذج الوحي الإلهيّ دائما ما كان يعتمد عملية التلقّي من جانب النبي صلى عليه وسلم محوراً للتلقين أو إيصال الأوامر ، أو التوجيه أو غير ذلك من المهام ، لكنّ النموذج هنا يعتمد على بنية السؤال والاستفهام ، لكنّه ليس استفهام الطالب لمعلومة أو إجابة ، بل هو استفهام التقرير الذي يعتمد على تمرير الإجابات في بيئة تلفظية عامة ، يعتمد فيها (المرسل / والمتلقي) على تبادلية الأدوار رغبة في تقرير المضمون التفاعلي في السياق التخاطبيّ لبيئة التلفظ والحاضرين فيها (الصحابة الكرام) . ويمكننا تمثيل هذا الأمر بالشكل الآتي :

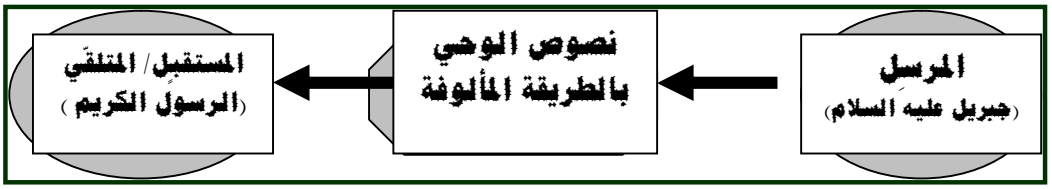

أمّا في النموذج الحالي فإنّ الوحي يتّخذ الشكل التخطيطي التالي :

1 – د. حسن بدوح ، المحاورة ؛ مقاربة تداولية ، 83 .

2 – د. مصطفى حجازي ، الاتصال الفعّال في العلاقات الإنسانية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990 ، 26 .

3 - J.A.Devito ; les fondements de la communication humain , Louise Rousselle ed , 1983 ,p13.

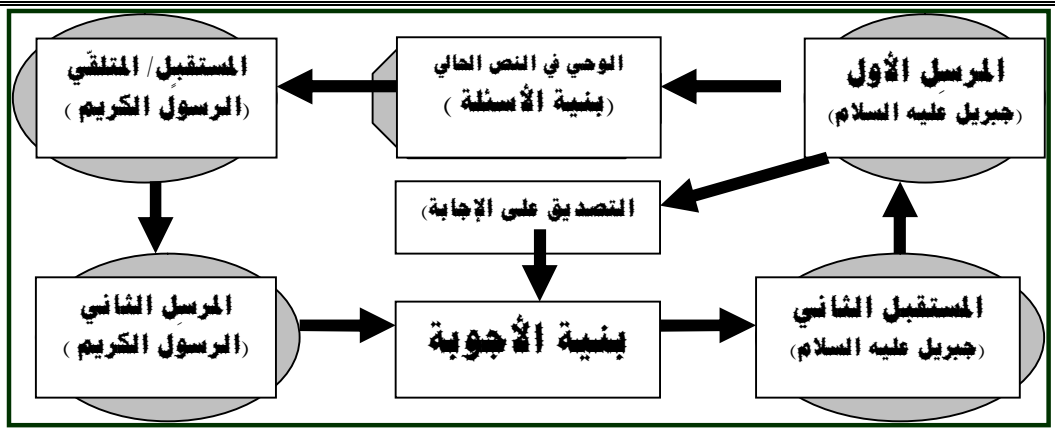

وهي بنية تواصليّة تبادليّة في سياق التفاعل اللفظيّ الحادث في النص الحديثيّ الشريف ، وليس الغرض منها على الإطلاق تمرير معلومات جديدة ، بل الأمر على تقرير معلومات مخزونة سابقاً في المعهود الذهنيّ لدى جماعة التلفّظ .

*** النموذج الثاني (المرسِل الثاني / عليه الصلاة والسلام) :**

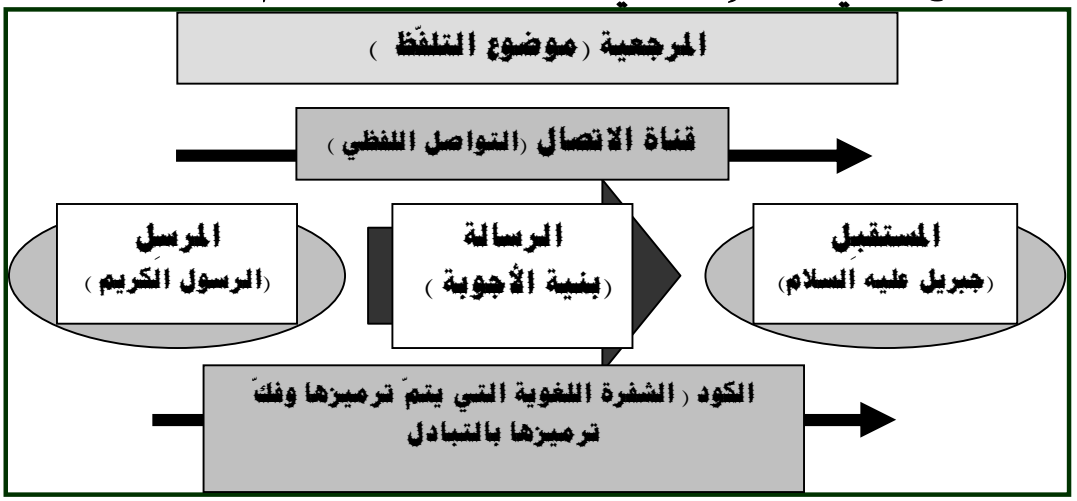

وهذا النموذج هو البنية التبادلية لمقام التلفّظ من جانب (مرسل / متلقي) هو النبي صلى الله عليه وسلم في إجاباته المتعددة على الأسئلة الموجّهة من جانب جبريل عليه السلام (بنية الأجوبة) ، مما يشكّل نسقاً تبادلياً لعملية التواصل التلفّظيّ ، مع مراعاة السياق الثقافيّ والاجتماعيّ الذي يتمّ فيه فعل التلفّظ . والعملية التواصليّة في هذا النموذج تتخّذ الشكل الآتي :

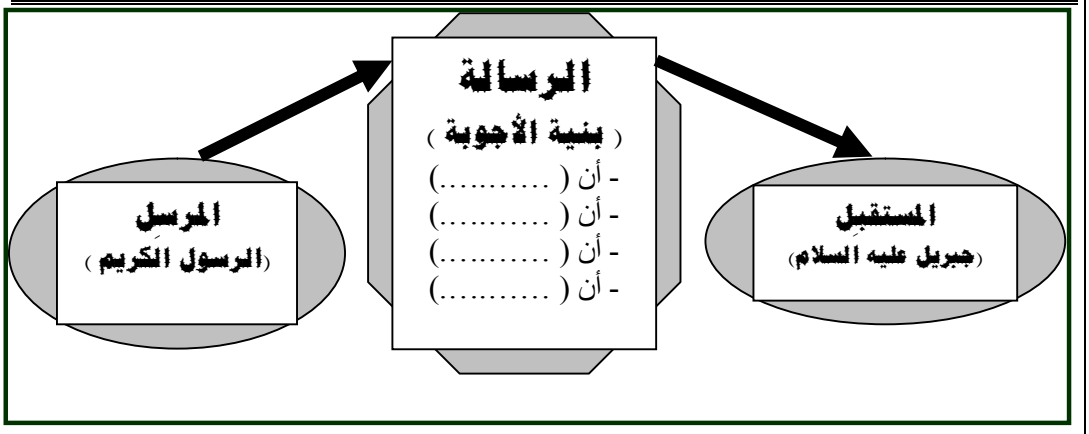

إنّ التبادلية في عملية التواصل هي أهم ما يميّز هذا النموذج الحاضر في نصّ الحديث الشريف ، وهي ما يثري بنية التواصل فيه ، ويؤصّل لفعل التلفّظ التخاطبيّ من خلال القصدية ، والتبادلية والاتفاق في الفهم اللغويّ للرسالة من جانب طرفي المحاورة . يقول د. طه عبد الرحمن : " في حالة العلاقة التحاورية فإنّ المتكلّم يصير متلقياً ، المتلقّي يصير متكلّماً ، وبالتالي فإنّ المتلقّي قد يقوم بدور الموجّه في العملية التواصلية بشكل لا يقلّ عن نظيره لدى المرسِل . كما لا ينحصر دور المرسِل في مجرّد النقل مثلما هو شأن الآلة ، بل إنّ النقل الذي يمارسه المرسِل هو على الأقلّ نقلان اثنان ؛ أحدهما : صريح يتعلّق بالمعاني الظاهرة والحقيقية المستقلّة عن مقامات الكلام ، والثاني : (ضمني) يتعلّق بالمعاني المضمرة والمجازية غير المستقلة عن المقامات " [1] .

إن هذه التبادليّة هي ما يميّز عملية التفاعل الخطابيّ عن عمليّة التلقّي العادية ، فالتفاعل الخطابي يقوم على مراعاة عناصر الزمان والمكان والسياق التي ترد فيها الملفوظات وتتفاعل معها ، في أنّ عملية التلقّي تقف عند حدود الملفوظ الموجّه من مُرسِل إلى متلقٍ له فقط . كما أنّ التفاعل الخطابيّ يتمّ إثراؤه إذ " كلّما أراد المرسِل بناء خطابه الذي سيتوجّه به إلى المتلقي كلّما وضع في حسبانه استعدادات هذا الأخير الذهنية والنفسية . إنّ المتلقّي بهذا المعنى بمثابة مراقب ضمني ، وهذا ما يجعل المرسل حريصاً على انتقاء الملفوظات ، والإستراتيجية البرهانيّة الملائمة . والشيء نفسه يقال عن المتلقّي الذي شكّل حضور المرسِل بالنسبة إليه مسألة ضرورية . ففي الوقت الذي

1 – د. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، 216 .

يقوم فيه المتلقي بفكّ تسنين الرسالة التي استقبلها من المرسِل يقوم بقراءة ضمنية لطبيعته الذهنية والمعرفية ، وانطلاقاً من تخميناته وتوقّعاته يختار العبارات الملائمة " [1] .

وهذا التفاعل الخطابيّ له سمات متعددة منها [2] :

- **اجتماعيّ** : إذ لا بدّ له من منتجين لفعل الكلام (أطراف التواصل / الحوار) .
- **حقيقيّ** : لا يتمّ في واقع متخيّل أو افتراضيّ .
- **إنجازيّ** : لوجود منجز كلامي تمّ إنتاجه من خلال استعمال اللغة .
- **تواصليّ** : لتوفر أطراف عملية التواصل ، وما يترتّب عليها من إنجاز لغويّ .
- **لغويّ** : اللغة أساس له ، وموجّه لآلياته ، مع إمكانية الاستعانة بما فوق اللغة .

يمكن قياسه : من خلال الوقوف على قيمة المنجز الكلاميّ فيه .

وهذه السمات جميعها يمكننا تلمسها بفاعلية في نصّ التواصل الحديثيّ من خلال تبادليّة الأدوار بين المرسل (الأول والثاني) والمتلقّي (الأول والثاني) ، وتفاعلية المحاورة من خلال بنية الأسئلة (الفعل) ، وبنيّة الأجوبة (ردّ الفعل) . وكما يقول د. حسن بدوح فإنّه :" بعيداً عن العناصر اللسانية الخالصة تتدخّل في تشكيل المحاورة عناصر سوسيوثقافية ، وأخرى تتعلّق بالجانب الحركيّ ، والنفسيّ ، وكلّها عوامل تؤثّر إيجاباً أو سلباً على التفاعل أثناء عملية التحاور التي يؤدّي فيها استرجاع الأثر دوراً مهماً في الحفاظ على استمرار روح المحاورة ، وينفي عنها سمة الخطّيّة " [3] .

★ النموذج الثالث (المرسِل الثالث / صلى الله عليه وسلم) :

---

1 - C.K.Orecchioni ; les interaction verbales . Approche interactionelle et structure des conversation ,TOMI,Troisieme edition ,paris , 1990,p.14.

2 – ينظر : د. قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، 2012 . 12–13 .

3 – د. حسن بدوح ، المحاورة ؛ مقاربة تداولية ، 83 .

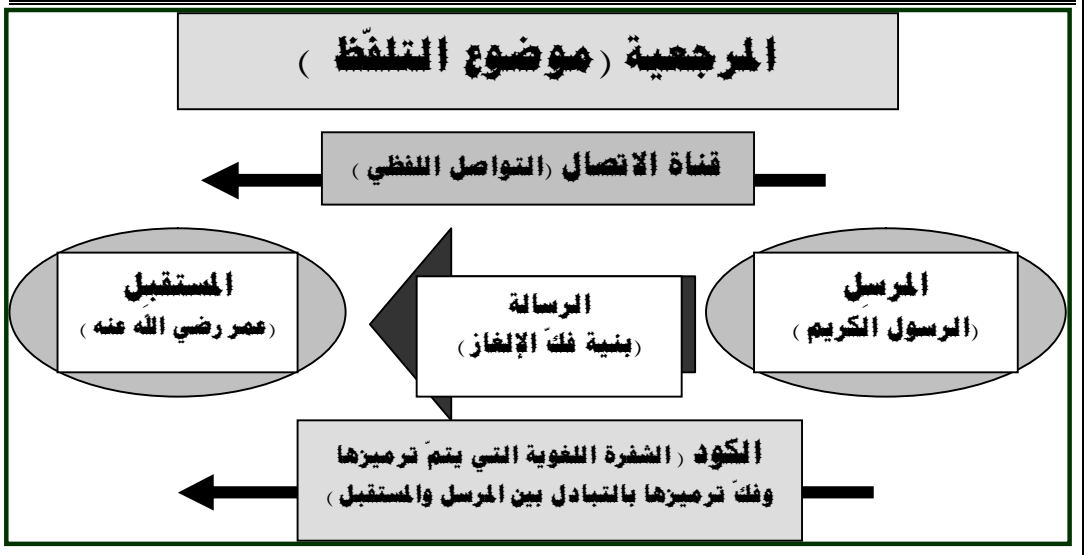

حيث يتمّ في هذا النموذج فكّ الإلغاز الحادث لدى جمهور المتلقّين (البيئة التواصليّة الأوسع) حول هوية السائل / المقرّ بالإجابات ، والمصدّق عليها بالصواب دوماً من خلال عبارة تقريرية (صدقْت) ، من خلال (مرسِل) هو النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى (مستقبِل) هو (عمر بن الخطاب) بوصفه ممثلاً رمزياً لجمهور المتلقين الأوسع في مشهد التواصل ، ومقام التلفّظ ، استثمر بنية السؤال التعجّبي من جانب المرسل ؛ النبيّ صلى الله عليه وسلم (يا عمر : أتدري من السائل ؟) والذي تمت الإجابة عنه من جانب المرسل أيضاً : (هذا جبريل ، أتاكم يعلّمكم أمور دينكم) ، ونلحظ الفعل (يعلّمكم) بصيغة الجمع مع كون السؤال التعجبي للمفرد (عمر بن الخطاب) لأنّه مناط الأمر ، إذ كان شكل الوحي هذه المرة مختلفاً لأنّه اتخذ شكل (تقرير المعلومات) لا نمط (تمرير المعلومات) كما سبق القول .

إنّ التفاعل الخطابي هنا اكتسب شكلاً جماعياً لأنّه كان المقصد من العملية التواصلية ، وضرورة إنجاحها . يقول جاك موشلار : " يتوقف نجاح عملية التواصل اللفظي على الطابع القصديّ للرسالة ، وعلى الاستدلالات التي يقوم بها المخاطَب ، حيث يقوم هذا الأخير بمجموعة من الاستدلالات غير البرهانية اعتماداً على المبادئ العامة

للتواصل ، والنتيجة المتحصَّل عليها من خلال هذه الاستدلالات هي نجاح العملية التواصلية ، وموافقتها لمقاصد المتكلّم " [1] .

⋆ الوظائف التواصلية في الحديث :

إنّ كلّ نموذج من النماذج الثلاثة التي تسيطر على بنية النص الحديثيّ يحتوي على عناصره الخاصة به والتي تمثّل جوهر عناصر التواصل به ، وبالتالي يحتوي على وظائفه كلّ عنصر من عناصر الاتصال في كلّ نموذج ، مع مراعاة السياق التخاطبيّ في الحديث . فنحن نصادف **الوظيفة الانفعالية** من جانب (المرسِل) في تبادلاته المقاميّة (جبريل / النبيّ صلى الله عليه وسلم) ، وهي وظيفة تعبيريّة يعبّر بها المُرسِل عمّا يريد توصيله للمتلقي له .

كما نجد *الوظيفة* **الندائية الإفهامية** التي تركز على المتلقي للرسالة استدعاءً له لاتخاذ فعل التلقّي للرسالة ، وقد مثّل هذا في الحديث الشريف في تلقّي النبي صلى الله عليه وسلم (لبنية الأسئلة) ، وفي تلقي جبريل عليه السلام (لبنية الإجابات) ، وتلقّي (عمر بن الخطاب) لبنية فكّ الإلغاز الحادث في مقام التلفّظ .

كذلك لا نحتاج كثير تأمل في العثور على **الوظيفة الإحالية المرجعية السياقية** التي تحكم بيئة التلفّظ ، وسياق التخاطب ، وإحاطة المقام بسياق ثقافيّ واجتماعيّ وضح من ألفاظ الحديث ، ومن فهم المتلقين له لغوياً ومقامياً ومعرفياً .

كما تحققت **الوظيفة السياقية المرجعية** من خلال مراعاة المقام التواصليّ الذي تمت فيه العملية التواصليّة .

وأيضا تطلّ **الوظيفة التنبيهية** التي تخدمها اختيار (قناة الاتصال) باتخاذ التواصل اللفظيّ وسيلة فاعلة وفعّالة لتوصيل الرسالة إلى متلقٍ نوعيّ له وضع خاص ، يستطيع من خلال مقام التخاطب والتلفّظ الإحاطة بمضمونها في ضوء عدم وجود ما يشوّش على مضمونها . فالتواصل اللفظيّ كان وسيلة الاتصال بين أطراف عملية التواصل ، من خلال تبادل الأدوار ، وحضور المتلقين العموم (الجمهور) .

---

1 - J.Moeshlre ; linguistique pragmatique cognitive ,ED de seil,paris,1999,p.5 .

و في **الوظيفة الشعرية أو الجمالية** يكون الهدف من عملية التواصل هو البحث عما يجعل من الرسالة نصاً جمالياً ، وذلك بالبحث عن الخصائص الجمالية الكامنة في هذا النصّ ، مثل التركيز على جمالية القصد التواصلي ، وتفاصيل العملية التواصلية ومكوناتها الإنشائية والشكلانية ، وهذا ما تمّ في بنية الحديث النبوي الشريف الذي بين أيدينا .

أما **الوظيفة الحفظيّة** ؛ فإنّ التركيز على قناة الاتصال (التفاعل اللفظيّ) في هذا النصّ ، يتمّ لوظيفة حفاظية وإفهامية كأن يستعمل المرسل خطابا شبه لغوي أو لغويّ أو حركيّ من أجل تمديد التواصل واستمراره بين أطراف عملية التواصل ، وذلك باستعمال بعض التواصلات غير اللفظيّة (الحركية) مثلما وجدنا في نصّ الحديث الشريف :

- (أسْنَدَ ركبتيه إلى ركبتيْه) .
- (ووَضَعَ يده على فخديْه) .

مما أسهم في نجاح عملية التواصل ، وإثراء مكوناتها الخطابية .

وتعتمد **الوظيفة الميتالغويّة أو الوصفيّة** على شرح المصطلحات والمفاهيم الصعبة والشفرة المستعملة مثلما لمسنا في توجيه (بنية الأسئلة) ، وفكّ شفراتها والردّ عليها من جانب النبيّ صلى الله عليه وسلّم بردّ فعل لغويّ تواصليّ تمثّل في (بنية الأجوبة) .

⋆ سيميائية المبادئ الحوارية في الحديث الشريف :

لعلّ من أهم اتجاهات السيميائية ما تشكّل على يد بويسنس فيما يعرف بسيميولوجيا التواصل التي يرى أنها " دراسة إجراءات التواصل بمعنى الوسائل المستعملة للتأثير في الغير ، مع العلم بأنّ هذه الوسائل لا بدّ وان تكون معروفة لدى هذا الغير تماماً " [1] .

فهذا التأثير في الغير هو المقصدية البلاغيّة التي هي الغاية من كلّ حوار تفاعليّ ، والسبيل إلى إحداث هذا التأثير كما يحدده فاندرليش يتمثل في القرائن المكوّنة لمقام التلفّظ ، ويحصرها في تسعة مكوّنات هي : (المتكلّم ، والمخاطَب ، والزمان ، والمكان ،

1 -E.Buyssens ; la communication et la,articulation , E.D paris , 1967.p.11.

والفضاء الذي يدركه المتكلّم ، والخصائص الصوتية /التركيبية للملفوظ ، والمحتوى المعرفيّ الذي يحمله الملفوظ ، والاقتضاءات ، والقصدية ، والعلاقة التي يقيمها الملفوظ بين المتكلّم والمخاطب) [1] .

كما أن فاندرليش يجعل من أحد مكونات مقام التلفّظ من القرائن التسع محوراً للتفصيل لأهميتها ، وهي قرينة الاقتضاء التي يفرّعها إلى خمسة فروع تتمثل في [2] :

- **اقتضاءات خاصة بالمتكلّم** ، وتقيّم معارفه وقدراته .
- **اقتضاءات خاصة بالمخاطَب** ، وتشمل أفكاره حول المتكلّم وقدراته .
- **اقتضاءات راجعة إلى مكان وجود المخاطَب** ، وتشمل كلّ ما يعتقد المتكلّم أنّه حاضر في المكان من أشياء ماديّة وغيرها .
- **اقتضاءات اجتماعية** ، وتختص بالعلاقة الاجتماعية الناشئة بين المتكلّم والمخاطَب .
- **اقتضاءات راجعة للنص (الرسالة الملفوظة)** ، وتشمل كلّ ما يستوعبه المخاطَب من الملفوظات السابقة المنتمية لذلك النص .

وكلّ هذه الاقتضاءات تثري فعل التلفّظ ، وتعلي من قيمة التفاعل الخطابيّ بما يشمله من مجموعة المبادئ الحواريّة التي تحكمه . ويمكننا الإشارة هنا إلى ما توصّل إليه بول جرايس من استنباط أربعة مبادئ حواريّة تحكم عملية التفاعل اللفظيّ الكلاميّ والتخاطبيّ . وهذه المبادئ أو المسلّمات الحواريّة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ (التعاون) الذي يقصد به التفاعل بين طرفي الحوار . يقول جرايس : " هذه المبادئ هي بمثابة قواعد منظّمة لكلّ حوار نظيف ومتعاون وجدّي يجري داخل الألسنة الطبيعية . وهذه المبادئ تنظم الحوار في مستوييه ؛ الحرفيّ أو المباشر ، وكذا غير الحرفيّ أيّ الاستلزاميّ " [3] .

ولنحاول تلمّس هذه المبادئ في النص الحديثيّ الذي بين أيدينا .

---

1 -D. Wunderlich , Pragmatique, situation d'énonciation et deixis , langages ,1972.PP 48-49.
2 - Ibid , p 49.
3 - P.Grice , Logic and Conversation , coleand Morgan eds , 1975 ,p.60.

* **تحقيق مبدأ الكم** [1] : وهذا المبدأ محكوم بأمرين هما :

الأول : الإسهام في الحوار لا بد وأن يكون على القدْر المطلوب فقط .

والثاني : الحرص على كون هذا الإسهام في الحوار بالقدر المطلوب .

وقد تحقّق هذا المبدأ في النص الحديثي بفاعلية وذلك من خلال نصّ (المتكلّم / المرسل الأول /جبريل عليه السلام) فيما طرحه من نصوص (بنية الأسئلة) ، كذلك من خلال التعاون من جانب (المستقبِل الأول / النبي صلى الله عليه وسلّم) لتلقّي تلك الأسئلة والتفاعل معها في السياق التواصلي ، وما تبع ذلك من حدوث تبادلية في الأدوار بين المرسل والمستقبِل ، حيث صار المرسل مستقبِلاً والمستقبِل مرسلاً في نص (بنية الأجوبة) التي أطلقها (المرسِل الثاني / النبي صلى الله عليه وسلّم) إلى (المستقبِل الثاني / جبريل عليه السلام) .

كما **تحقّق مبدأ الكمّ** بشرطيه في نصوص بنية الأسئلة ونصوص بنية الأجوبة ، وعدم الخروج عن النطاق ، إذ كانت على القدر المطلوب الإسهام به في عملية التفاعل الحواري التلفظي ، كما كانت محدّدة ومنطقية ، ومتناسبة مع بعضها .

* **تحقيق مبدأ الكيف** : وهذا المبدأ محكوم بمسلّمات ثلاث هي :

الأولى : الحرص على الصدق في الإسهام الحواري .

والثانية : عدم إثبات المظنون بصدقه أو كذبه .

والثالثة : عدم الحرص على إثبات ما لا دليل عليه .

ونصّ الحديث الشريف بما يحويه من تفاعل تخاطبي يحقّق هذا المبدأ الحواريّ بفعالية متقنة ، فالصدق شامل لمحتوى الحديث لأنّه من باب (الوحي) ، ومحال فيه الكذب من جانب طرفي الحوار . فقد غلّفت بنية الأسئلة وبنية الأجوبة بمعيار الصدق المطلق ، وتجنّبت تماما الإلحاح على الإثبات التوكيديّ للملفوظات في نص الحديث ، فجاءت الأسئلة بسيطة في بنيتها اللغوية ، وتناسبت معها الإجابات في ذلك مراعية الكفاية اللسانيّة المعهودة بمستوياتها المختلفة ؛ صوتية ، وصرفية ، وتركيبية ، ودلالية

---

1 – لتفصيل الكلام في هذا المبدأ والمبادئ الأخرى ينظر :

- P.Grice , Logic and Conversation , pp 61-62.

، وكذلك مراعية للكفاية التواصليّة والتخاطبيّة وما تشمله من كفايات فرعية تداولية بلاغية وموسوعية لغوية ومنطقية استدلالية .

★ **تحقيق مبدأ العلاقة** : وهو محكوم بمسلّمة وحيدة تتمثل في (تحديد الموضوع بدقّة) . فقد حدّد موضوع النصّ بدقة متناهية بين طرفي عملية التفاعل اللفظيّ ، إذ صدر من جانب المرسِل (جبريل عليه السلام) مجموع تلفظي محدّد بدقّة وهو (بنية الأسئلة) ، قابله مجموع تلفظي أكثر تحديداً وتدقيقاً من جانب المستقبِل (المرسِل الثاني / النبي صلى الله عليه وسلّم) في (بنية الأجوبة) ، ولم يتمّ التطرّق إلى تفريعات تلفظيّة أخرى تشتت النصّ ، وتعمل على إقصاء جوانب التفاعل فيه . ولعلّنا نلمح هذا التحديد لموضوع النصّ بقول النبي صلى الله عليه وسلّم في نصّ الحديث : (أتاكم يعلّمكم أمور دينكم) ، فالنصّ محدّد جداً ، وله إطار واضح وجليّ ، والأصول المعرفية التي يقوم عليها واضحة حتّى يترسّخ في الذهن للمتلقّي العام (الجمهور) .

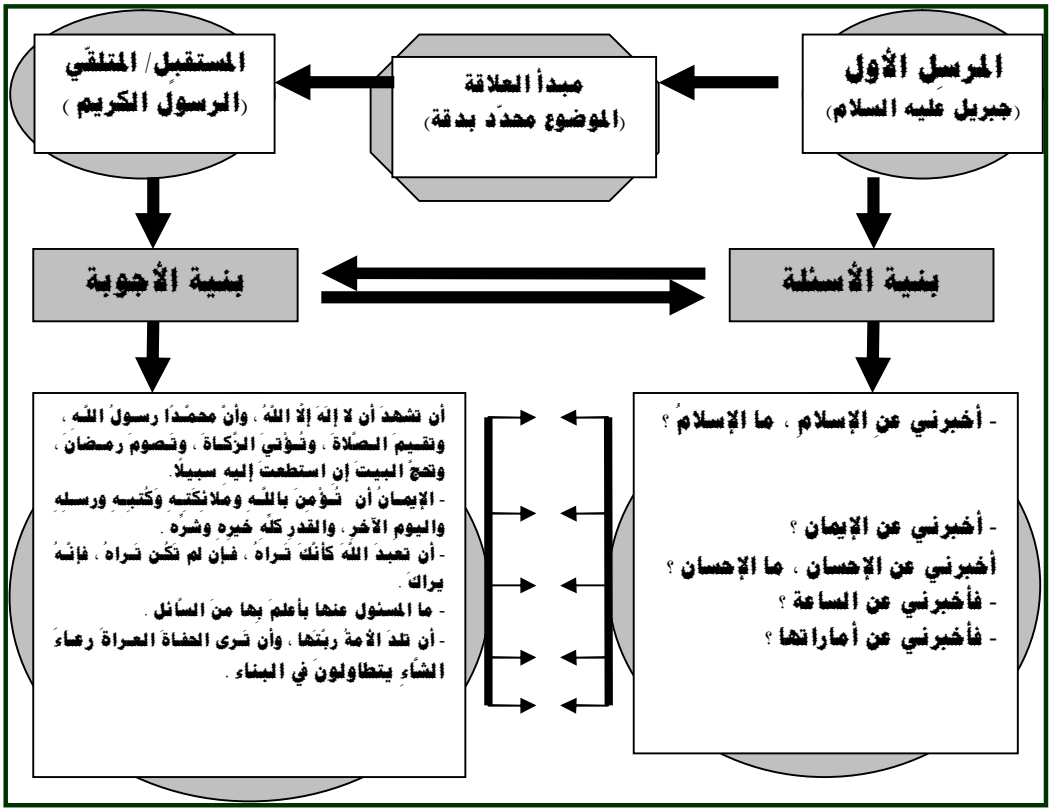

* **تحقيق مبدأ (الطريقة)** : وهو شامل لعدّة مسلّمات فرعية هي :

- الوضوح من جانب طرفي التفاعل التخاطبي .
- تجنّب اللبس والغموض والإلغاز .
- الإيجاز .
- المنهجية والموضوعية .

ويلاحظ تحقق هذا المبدأ بمسلّماته الفرعيّة في نصّ الحديث من حيث الوضوح التلفّظيّ الذي كان سمة واضحة في النصّ الشريف من خلال ملفوظات بنية الأسئلة والأجوبة ، في الفعل اللغويّ وردّ الفعل اللغويّ من جانب المرسِل والمستقبِل ، وفي حسن اختيار التعابير اللفظيّة الملائمة ، كذلك في ابتعاد طرفي الحوار عن اللبس والغموض والإلغاز ، فجاءت التعابير التلفظية بعيدة تماماً عن كلّ ما يثير التساؤل أو التحيّر في المعنى ، موجزة في ألفاظها ، وسلسة في الفهم ، وتعتمد الموضوعية والمنهجية أساساً متيناً للوصول إلى الذهن والفهم ، محقّقة بذلك مبدأ الطريقة على أفضل وجه ممكن .

⋆ نهاية التطواف :

كان من المفيد في هذا المقام استثمار المعطى الألسنيّ في توجهاته الحديثة من لسانيّة توليديّة وتداوليّة لإثارة مكنونات النصّ الحديثيّ الشريف بما يحمله من طاقات تعبيريّة ، وإمكانات اتصاليّة رائقة . فتمّ استثمار مفهوم الكفاية بين التوليديّة والتداوليّة للوصول إلى جوانب الكفاية الاتصاليّة والتخاطبيّة ، وأهمّ تفاصيلها ، وتطبيق هذه التفاصيل بصورة سيميائيّة على نصّ الحديث الشريف .

وقد تعاملنا في هذا الإطار التطبيقيّ بمقررات مفهوم الكفاية التواصليّة لأنّه المعبّر الأحدث عن الوظيفة البلاغيّة في أبرز تجلياتها التبليغيّة ، لاستكناه جوانب التميّز النصيّ والبلاغيّ والتداوليّ لنصّ الحديث الشريف .

* أهم المصادر والمراجع :

* المراجع العربية :

1- أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) :

- المسند ، تحقيق : الشيخ أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1368 هـ .

2- د. أحمد سليمان ياقوت :

- في علم اللغة التقابلي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1998 .

3- د. أحمد المتوكل :

- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، جامعة محمد الخامس، الرباط ، 1993.

- الخطاب وخصائص العربية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010 .

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، المغرب ، 2005 .

- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 2004 .

4- الأزهري ؛ أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370 هـ) :

- تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1964 .

5- البخاري : محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) :

- الجامع الصحيح ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1989 .

6- د. بشير إبرير :

- دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، 2010 .

7- البيهقي ، حمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ) :

- السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 2003 .

8- الجرجاني ؛ علي بن محمد بن علي (ت 816 هـ) :

- التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1988 .

9- د. حافظ إسماعيلي علوي :

- اللسانيات الوظيفية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع2 ، 2004 .

10- ابن حبّان ، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354 هـ) :

- الصحيح ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1993 .

11- د. حسام البهنساوي :

- أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة، القاهرة ، 1994 .

12- د. حسان الباهي :

- اللغة والمنطق ؛ بحث في المفارقات ، دار الأمان ، الرباط ، 2000 .

13- د. حسن بدوح :

- المحاورة ؛ مقاربة تداولية ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، 2012 .

14- د. خليل عمايرة :

- في نحو اللغة العربية وتركيبها ؛ منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 .

15- الراغب الأصفهاني ؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ) :

- المفردات في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : محمد كيلاني ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، 2001 .

16- الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت 1205 هـ) :

- تاج العروس ، تحقيق : مصطفى حجازي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1988 .

17- د. سعيد بنكراد :

- إستراتيجية التواصل من اللفظ إلى الإيماءة ، مجلة علامات ، الدار البيضاء ، ع21 ، 2004 .

18- د. الطاهر بن حسين :

- أصول الشعرية العربية ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2007 .

19- د. طه عبد الرحمان :

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1988 .

20- د. عبده الراجحي :

- النحو العربي والدرس الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 .

21- د. عبد السلام المسدّي :

- اللسانيات من خلال النصوص ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 .

22- د. عبد القادر الفاسي الفهري

- اللسانيات واللغة العربية ، دار توبقال ، الرباط ، 1982 .

23- د. عبد الهادي الشهري :

- استراتيجيات الخطاب ؛ مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2004 .

24- د. عفيف الدوري :

- التداولية في الترجمة ، مجلة دراسات الترجمة ، جامعة البصرة ، ع 1 ، 2001 .

25- د. عمر أوكان :

- اللسانيات والتواصل ، مجلة فكر ونقد ، الدار البيضاء ، ع 36 ، 2001 .

26- الفيومي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 770 هـ) :

- المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط3 ، 1999 .

27- د. قدور عمران :

- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، 2012 .

28- الكفوي ؛ أبو البقاء أيوب بن عيسى (ت 1094 هـ) :

- الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1988 .

29- د. مبارك حنون :

- دروس في السيميائيات ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1987 .

30- د.مجيد الماشطة :

- شظايا لسانية ، دار السياب للطباعة والنشر ، لندن ، 2008 .

31- د. محمد الخولي :

- قواعد تحويلية للغة العربية ، دار الفلاح ، الرياض ، 1981 .

32- د. محمد يونس :

- مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2004 .

- المعنى وظلال المعنى ، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، 2007 .

33- د. محمود فهمي حجازي :

- مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للنشر ، القاهرة ، 1998.

34- د. مصطفى حجازي :

- الاتصال الفعّال في العلاقات الإنسانية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990 .

35- د. مصطفى ناصف :

- اللُّغة والتَّفسير والتَّواصل ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثَّقافة ، الكويت، ع (193)، 1995 .

36- ابن منظور ؛ جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) :

- لسان العرب ، دار الفكر ، دمشق ، 1988 .

37- د. ميشال زكريا :

- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، 1986 .

- قضايا ألسنية تطبيقية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1993 .

* المراجع المترجمة :

1- بيير جيرو :

- السِّيمياء ، ترجمة : أنطوان أبي زيد ، منشورات عويدات ، باريس ، 1984 .

2- جوليا كريستيفا :

- علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط2 ،1997 .

3 - جون آدمز :

- التداولية والسرد ، ترجمة : خالد سهر ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، 1987 .

4- جون سيرل :

- العقل واللغة والمجتمع ، ترجمة : د. سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2006 .

5- جون ليونز :

- نظريات تشومسكي اللغوية، ترجمة : د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1985 .

6- جيرار دولودال :

- السيميائيات أو نظرية العلامات ، ترجمة : د. عبد الرحمن بوعلي ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2000 .

7- دوجلاس براون :

- أسس تعلم اللغة وتعليمها ، ترجمة : د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1994 .

8- رولان بارت :

- درس السيميولوجيا ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، 1986 .

9- رومان ياكبسون :

- قضايا الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1988.

10- فان دايك :

- العلاماتية وعلم النص ، ترجمة : د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، دمشق ، 2009 .

- النص والسياسة ، إقصاء الحدث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ت : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2000 .

11- فرانسواز أرمينيكو :

- المقاربة التداولية ، ترجمة : د. سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، 1986 .

12- فرانك مانفرد :

- حدود التَّواصل ، ترجمة : عز العرب بناني ، إفريقيا الشَّرق ، الدار البيضاء ، 2003 .

13- فرديناند دو سوسير :

- محاضرات في علم اللغة العام ، ترجمة : صالح القرمادي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 2003 .

14- فيليب بلانشيه :

- التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة : صابر الحباشة ، دار الحوار ، دمشق ، 2007 .

15- مارسيلو داسكال :

- الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ، ترجمة : مبارك حنون ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1987.

16- مارك ريشال :

- اكتساب اللغة ، ترجمة : كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 .

17- نعوم تشومسكي :

- جوانب من نظرية النحو ، ترجمة : مرتضى جواد باقر ، مطبعة جامعة البصرة ، العراق ، 1983 .

- اللغة ومشكلات المعرفة ، ترجمة : د. حمزة قبلن المزيني ، دار تويقال ، الدار البيضاء ، 1990 .

- المعرفة اللغوية ؛ طبيعتها وأصولها واستخدامها ، ترجمة : د. محمد فتيح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993 .

* المراجع الأجنبية :

1- Buyssens (E) :

- La communication et l'articulation linguistique. P.U.F. mulger. Paris. Hatier 1974 .

2- Chomsky .N :

- Aspects de la theorie syntaxque , traduit par Jean Claude Milncr , edition du seuil , Paris . 1974 .

- Principles and Parameters in Syntactic Theory , Edited by Norbert Hornstein and David Light Foot , Longman,London,(1983) .

3- Dell Hymse :

- Sociollinguistics and Ethnography of Spoken . Twistock – London .(1971) .

4- Devito . J.A ;

- les fondements de la communication humain , Louise Rousselle ed , 1983 .

5- Grice .P :

- Logic and Conversation , coleand Morgan eds , 1975 .
6- Roland Eluerd :
pour aborder la linguistique. Edition ESF seme edition .tome 1 , 1968 .
7- Haselt. B.J :
- communication ; strategic action in context ,LEA, New Jersey , 1987 .
8- Moeshlre . J ;
- linguistique pragmatique cognitive , ED de seil,paris,1999 .
9- Orecchioni C.K. ;
- les interaction verbales . Approche interactionelle et structure des conversation ,TOMI,Troisieme edition ,paris , 1990.
10- Wunderlich .D :
- Pragmatique, situation d'énonciation et deixis , langages ,1972 .